
سلسلة قصص
للجيب
موزجا
العدد ١
نفس عميق في
بلازما العدم
محمد عبدالحميد

اهداء الى العراب

"د.احمد خالد توفيق"

ولبطل سلسلة :: سفاري ::

"د.علاء عبدالعظيم"

(موزجا) ,, مصطلح روسي معناه المخ الذي لغويا يفيد الصحة الدماغية .
ومؤسستنا العزيزة ها هنا بدأت في دراسات عن المخ ، حتى اعتمدت من منظمة الصحة العالمية انها منظومة طبية متكاملة ولا تخص دراسات المخ والاعصاب فقط ، بل وطب المناطق الحارة والفايروسات والطوارئ والجراحات العامة والعاجلة وإلخ.. ، والتي لها مقر واحد في كل قارة على الاقل ، والذي اماكنها تعمها الفقر وتوابعة والقبائل والغابات او الصحاري او حتى المناطق الباردة ،
ومع بطلنا الذي يكون في البيرو في غرب امريكا الجنوبية ،
من صديقنا العزيز الذي نحبه بالتأكيد "د.ماهر مصطفى" ، طبيب المخ والاعصاب والطب النفسي المصري ، الذي سيكون العربي الوحيد لفترة وجيزة داخل تلك المؤسسة التي حفذته لدراسة الطب العام فيما بعد .
وسيحكي لنا من مذكراته التي قرر أن يكتبها لما رأه من اشياء لا محال لها من الاعراب في عقله ؛ منها فايروسات لعينة وحالات نفسية معقدة وبعضها ليس لها تفسير ، وبعض حالات السطو والقتل من عصابات ، ولا ننسى من هم في قبائل مجاورة من سحرة ومحاولات "ماهر" في البقاء حياً .

والان هيا نفتح وريقات مذكرات طبيبنا المصري وصديقنا "د.ماهر مصطفى"
ونحلق في أشجار الغابات ،
الى وحدة (موزجا) في <البيرو> ... ونعيش وسط فريقها الطبي .

****

* نبذ بسيط .. *

نوع السرد في الأسلوب دا شكله بيكون روائي اكثر منه مبني على اوصاف الراوي بعضها بالعامية وبعضها فصيح ، الأهم هو .. انها مجرد كلمات في دفتر مذكرات .

***

دي مذكراتي .. حاولت اكتبها بشكل ميكونش ممل ودا برده مش معناه اني كاتب مُحنك في السرد وأسلوب الكتابة .. لأني ببساطه طبيب !

واكيد مبسوط ان وصلك ورقي وافكاري وخواطري المكتوبه عليه ، ف.. خليني احكيلك انا هنا ازاي الأول وبعد كدا هحكيلك ليه قررت اكتب مذكراتي ...

***

***

من امام المرآةِ أُحدثك أنا "د. ماهر مصطفى" طبيب المخ والأعصاب ، لا أنسى تلك الوقفة التي يعقبها انترفيو في مؤسسة طب وبحث علمي تعد من الأشهر في القرن الحالي، لتخصصها في علم المخ والاعصاب في بداية انشاءها وثم الفايروسات والأوبئة والى ان وصلت الى جميع التخصصات ،مقراتها هي الأماكن النائية في روسيا وانكلترا وألمانيا والبيرو ومدغشقر ، وفي تلك الأماكن إن لم تجد سفاري ستجد مؤسسة "موزجا".

يصعب على العرب إيجاد مثل هذه الفرص للتقديم في مثل هذه الأماكن التي يقدر فيها مديرها ورقة بحثية عن فايروس تم تطوره او عن مرضٍ ما لاحظت ان مع مادةٍ ما تزيد من تقليل حدة الأعراض للمصاب ، لنكن واقعيين أوروبا افضل حضارات في العصر المعاصر وانا وانت نريد ان تأتي لنا فرصة للسياحة على الأقل هناك ؛

جهزت الـCV

الخاص بي جيداً فمؤسسة موزجا تهتم كثيراً بتفاصيل الأطباء والممرضين لديها

***

تتفحص عينيك وجوه من هم بالقاعة .. دكتور ميتشيل رئيس المقابلة ، بروفيسور ماركس .. الذي يمثل دور الشخص الذي يصعب على أي فرد المقابلات العملية لردوده الغريبة وصرامه ملامحهُ ! ، بجواره استشاري جراحة الاعصاب جينيف ماك-رايس البريطاني لطيف الى حد ما ...

- تفضل يا دكتور مـ.. ماءير ؟ .. بيتنطق ازاي دا ؟

- It's Maher M A H E R ماهر يا بروفيسور ماركس ، مش صعبة اظن !

تحس ان دكتور جينيف قال في سره "انت تاني يا ماركس" .. ليعبر عن هذا مُكملاً و الأسئلة ..

- عمرك مخلينا مبسوطين يا مستر ماهر ، 32 سنة دا رقم عظيم جدا في عالم التخصص الطبي ، وورقك قدامي يعكس دا عليك انك شخص ناجح في مجالك بتتكلم لغات ايه غير الإنجليزي والفرنسي ؟

- إيطالي والماني و اسباني لمستويات رفيعة فيهم كمان .

-- اسباني ؟؟ بجد ؟!

" قال الرد دا البروفيسور ميتشيل برد فعل مطمنيش بصراحة ، بلعت ريقي ورديت .."

- ايوه .. تحب حضرتك تختبرني او تتأكد من الورق !

"اكمل حواره قائلاً وهو يقلب في الأوراق .. "

- ورقك ممتاز جداً يا سينور ماهر ، خريج كلية الطب جامعة القاهرة بتقدير ممتاز 5 سنين ، عامل ماجيستر في الخلايا العصبية و دكتوراه كمان في زمن قياسي ! ،ودا يدل انك اعذب يا دكتور .

"ابتسامته ونطقه لكلمة سينور مطمنيش ، يارب يكون الفي بالي غلط ، او انهم ليهم مركز في اسبانيا" – فرددت عليه بأخر آمالي ان يكون عقلي على خطأ ..

- أكيد يا بروفيسور ، مين عنده الفراغ لكل دا كمان ان ممكن يتغرب في أوروبا لو مش أعذب .

- ومين قال أوروبا ؟! .. انت محتاج مكان يميزك وسط الطاقم الطبي و احنا مح...

"لا ! ، مهو روسيا مش بتتكلم اسباني ! .. يارب ميقولش الـ.."

- ... ... بيرو ، وهناك هيكون مكانك مفيد ليك ولينا ، والمكان هناك محتاج متخصصين في مجال طب الاعصاب والسلوك النفسي يا دكتور ماهر ، خصوصاً انك من متحدثين الإسبانية بطلاقة يا سينور ماهر .

***

باقي اللقاء غير مهم صدقني ،وأنت بالتأكيد تعرف لماذا ؟ ؛كعندما تتوقع أرباح مشروع الطفولة الذي جميعنا بنيناه وتصدم بأنك لم تكسب او تخسر ! ، فقط بعت كما اشتريت ،هذا الوجه الذي تخيلته انت الان يعبر عن وجهي في باقي وقت المقابلة .. البيرو ! حقا ؟ ،والان الى افريقيا الغربية ! .

***

رسائل أصدقائي وافراد عائلتي الذين يشعرون انني ذاهب لمدينة اتلانتس او كوكب المشترى ، وكل مرة اسمع فيها البيرو اضحك وارى ان لو كان القدر فرد من

افراد المجتمع فلن يكف عن كتابة مؤلفات لنكات عن مره واحد حب يشجع فريقة في دوري الابطال من الاستاد ! .

***

وصلني الـميل من المؤسسة بأن ورقي جاهز في سفارة البيرو ،وان لازم اروح في أسرع وقت عشان باقي 4 أيام بس على سفري .

- متقلقيش يا أمي ، ولله هكون بخير ان شاء الله ؛ ثم يا ست الكل حد يطول ابنه يكون دكتور و بااااحث في مؤسسة موزجا .. هو اه في البيرو بس موزجا ! .
-- مش عايزة غير وجود ولادي حواليا ، هو يعني لو بقيت معيد في جامعة هنا هيكون حرام يعني يا ابني ؟!! .
"قالت امي الجملة دي وطبعا عنيها مبطلتش دموع وأكيد بتقول في حال بالها ان لو عليها تربطني في رجل السرير ومتحركش من باب البيت ،أكيد مش حابب اشوفها كدا بس معنديش حاجة اعملها غير ان ابوس ايديها وراسها واحضنها .."

- انت ربيت وكبرتني عشان اقف هنا قدامك واكون ناجح جوه بلدي واهلي ، لازم اطير لمكان جديد اعرفهم فيه ان الحج مصطفى ابويا اعظم اب في الدنيا ،أبقى فهم ماما ان هكون تمام وأن هكلمكم بالفيديو عادي كل يوم لو عرفت وان هيكون سهل اتواصل معاكم يا حبيبي !
"وطيت ابوس ايد ابويا الراجل الصعيدي المتحضر ، البدأ يخبط على راسي وقومني احضنه وهو بيوصيني على نفسي ؛ اب عنده 63 سنة اكيد كان نفسه

يكون فيه حفيده قاعد جمب ابنه في عزومه معموله في ليلة رمضان ، مش ان يكون شايف ابنه بيسافر وان ممكن ميشفهوش تاني ! "

***

وزي أي قصة سفر ،يجي عماد .. صاحب عمري يعرض عليا انه يوصلني المطار ؛عماد استشاري جراحة مخ الكان دايما يلومني ان اختياري للقسم المفهوش جراحة كان مش صح ! — النصيب بقى يا عماااد .

- شكلك والله اعلم هتوحشني يا ماهر ،متخيلتش ان أكون عايز امنعك عن قرار من قراراتك الغبية دي أكتر من المره دي ،ومستنيك تعمل زي الأفلام الرخيصه دي وتقولي "ما ترج بينا يا عماد انا غيرت رأيي"

ضحكت لوهله كدا لاحظت عليه ان فعلاً ان دموعه هتنزل ، للدرجة دي يا عماد ؟

-- يا عماد يا حبيبي انت صاحبي من ايام ثانوي ،صديق عمري واخويا مفهاش شك ،وبرده اكتر شخص عارف مدى الحلم ان أكون باحث وبره مصر بالنسبالي ايه! ، هو اه مش البيرو .. بس محدش بينط السلم لفوق الا وتنكسر ضلوعه ،ثم انت مُتعلم وعارف ان ممكن نتكلم فيديو وانك كمان ممكن تجيلي تزورني هناك يا عم على طول؛ مش هوصيك يا عماد سلامي على مريم واكرم ولادك وأمهم ! .

***

مدينة سيفا او سيبا لو نطقناها باللغة النحس الوديتني ليها ! ، مدينة بتفصل إقليم كوسقو البطبعه كلهُ غابات وقبائل و إقليم واشاكوتشو المليء بالجبال اللونها ابيض من الثلج ،ههه منااخ راااائع لمرض الالتهاب الرئوي الحاد ! .

بعد يومين من السفر وكم الإرهاق المتواصل دا الحمد لله وصلت ، شكل المباني هنا شبيه بتصميم أبراج التجارة العالمي بس الحمد لله قصير مش هلاقي طيارة بترمي التحية عليه في سبتمبر وانا شغال ؛ المبنى الأول هو مبنى المؤسسة المكتوب على بابه جملة بالحروف الروسية وبالتخمين أكيد أسم المؤسسة ، المبنى الثاني أصغر منه في الحجم وعلى بعد امتار قليلة جدا وهو الفندق البيقيم فيه الكادر الطبي .

انا لو قارئ الكلمات بتاعتي لشعرت بالملل ، بجد أتمنى أن افهم اني بكتب مذكرات مش رواية بوليسية بتبدأ بمطاردة الشرطة للبطل وهو بينط في النيل !

وقت الإنترفيو كنت متوقع ان معنى أسم المؤسسة الهو "موزجا" المعناه دماغ بالروسي ، لكن تطورت مع الزمن حتى أصبحت مؤسسة أبحاث شاملة وعلاجية .

***

تلك تكون أليكسا كير ذات الجنسية الويلزية التي ستصبح مع مروري أسبوع فقط اقرب الأصدقاء لي بل وأكثر ، فلديها وسامه وجمال غير طبيعي بصوت ملائكي ، يكسر الصورة النقية هذه مرور ذو الملامح القاسية والشعر النصف شائب البروفيسور كينيسمان كأن ملامحه تعبر عن قساوة العظام الذي يكون هو من اكبر الاستشاريين فيها .

البروفيسور كونيستين سيرجيف .. كبير الباحثين في علم الفيروسات والأوبئة الذي يشغل منصب رئيس المؤسسة في البيرو ، لكن الكوميديا هنا هو ان تقريبا والله اعلم البروفيسور سيرجيف انتهى زمن ادراكه ان السوفيت لسا ماسكين اسيا هتلاقي في مكتبه علم الاتحاد السوفيتي بجانب علم المؤسسة ودا كافي لكرهه

لأي حاجة في أمريكا وألمانيا الـ هي أصلا من واضعين أحجار أساس مؤسسة موزجا لكن لم أرى في ذكاء وشخصية هذا الرجل في مجال الطب ! .

بعد شهرين هنا اقدر أوصف المكان انها إفريقيا بس بتتكلم اسباني ، في اغلم الأماكن عنا يقع الكثير من القبائل التي لا يعرف عنها العالم أي شيء حتى الأن .

خلصتورديتي ونمت كالعادة ، لكن من اول الليله دي قررت ان اخد قرار ان اكتب كل شيء همر بيه طوال الرحلة الـ على ما يبدو مش هتكون طبيعية ؛ رن تليفون الطوارئ البيكون متوصل بالمستشفى ، عمره ما رن ويوم ما يرن أكون في سابع نومه في عز الشتاء !

- دكتور ماهر .. فيه حالة انهيار عصبي مش طبيعية وشديدة جداً و ..
- محدش يلمسهُ يا بيلاجو فاهم .. اديله حقنة مهدئ بس على ما أجي .

قفلت مع بيلاجو ممرض في المؤسسة ، بيني وبينكم مش طبيعي ان حد يكلمني دلوقتي لمجرد حالة انهيار عصبي ! ؛ نزلت للمؤسسة بترعش من البرد وانا لابس البالطو ، لكن الرعشة بتاعتي وقفت قدام جسم المريض الكان بيترعش بشكل مش طبيعي خالص ! ، بنظره مليانه تساؤل وجهت راسي للدكتور دانيل-بو طبيب المناطق الحارة ، والبدور خبرته واقف متماسك بدون أي رد فعل مفاجئ ؛ بلهجة استعجالية طلبت من الممرض بيلاجو ان يديله حقنة المهدئ الكان لسا مدهاش للمريض ، الحالة اغرب مما توقعت !

مصاب الانهيار العصبي بيكون فاقد الوعي وبيكون عنده هلع أو حتى هلوسة وفيه اعراض تانية مش عايز اشير ليها لانها ممكن تكون مقذذة للبعض ؛ وطبعا متنساش ان الانهيار في الغالب ليه طابع وسبب نفسي من دموع او جروح من

المصاب في حق نفسهُ ... بس مش رعشة شديدة وتشنجات صامته و شحبان في لون الوجه مش هكون ببالغ لو وصفت لونه بلون السكر الأبيض و ارتخاء عضلات الوجه .

- بروفيسور دانيل ، انا عندي شك قاطع انه مش مرض عصبي طبيعي او ان حتى حالة شحوبه دي طبيعية !
-- الفرق بين اعراض الفيروسات واعراض الأنفلونزا غير ملحوظ في فتره حضانتهم لأن ليهم نفس الاعراض ببساطه ! ، واليقدر يفرق بينهم التحاليل والمايكروسكوب .. انا طلبت منهم انهم ينقلوه على غرفة عزل ، فلا تظهر عليه أي حمى وذا امر غريب جدا يدل على انه لا يوجد مقاومة للجهاز المناعي ! .

وأكمل كلامه وهو يردده في هدوء تام

-وعشان الوضع مجهول طلبت انه يتحط في العناية المركزة وجهاز تنفس صناعي زي مانت شايف ...
- فكرك يكون غاز سام ؟
-- البلغنا بالحالة قال ان لاقى المصاب بيصرخ صرخة صامته وسط الأشجار ، فطبيعي يكون شعر انه جاله نوبة قلبية بسبب ان جسمه بدأ يبرد ويشحب

خدت الكلام و طلبت من بيلاجو انه يبلغني لو فيه جديد .

الساعة بقت 5 الفجر ، شكلها مفهاش نوم ، قعدت على المكتب وخرجت المفكرة بتاعتي من الدرج بكل حماس .. من الهو بتاع اول شيء صعب يقابلني ، حماس بدايات ؛ بدأت اكتب عنوان للصفحة مع ان ملوش لازمه بس برتاح لما بعمل كدا ،

وسجلت شوية ملاحظات كالاتي

1- شحوب لون الجسم بشكل غير مسبوق

2- بعض ندوب في الجلد مجهولة كأن المصاب كان نائم على شوك

3- رعشة تتزايد مع الدقائق وفقدان القدرة على الحركة

ينهار ابيض ايه كل دا .. انا لازم اكلم التمريض !

- الو .. ، تمريض ؟ ... انا دكتور ماهر .. بلغوا الدكتورة اليكسا كير طبيبة الامراض الجلدية ان تروح لقسم العناية المركزة من فضلكم .

الساعة كانت وصلت لـ6 الصبح وقت التفكير سريع جدا ! ، وصلت سينوريتا اليكسا وهنا بنكسر حدة الألقاب بألقاب بتتقال للعامة المهم ان لازم لقب سينور سنيوريتا سينورة بروفيسور وهكذا .،. لكن انا واليكسا صحاب فبنشيل الكلام الممل دا !

- أخيرا يا سنيوريتا ،عايز اوريكي حاجة مش لاقي ليها تفسير غير انها مش حاجة تخص الاعصاب بس حتى انا لما شو...

- مهو لو سبتك تشرح يا ماهر أقسملك اننا مش هنخلص كدا ! ، فين الحالة يا رغاي ؟؟

- اهي الحالة يا بروفيسورة ، الـ.. هي الجروح عملت كدا ليه ؟؟ .

قلت الجملة دي وذهلت من المشهد ،الجروح مكنتش كدا من ساعتين ومتوقعتش انها توصل لكدا !!! ؛وسمعت صوت اليكسا وهي بتمتم في نفسها ..

- جروح غير نافذه للدم ؟ ... نسبة الدم في الجسم طبيعية .. طب ليه مش بينزف والجوح تبان قطعيه .. أزاي كدا ؟ .. ممكن يكون ايه ؟

سألت السؤال دا وهي بتوجه وجهها الفاتن لتنظر لي نظرة تساؤل ؛ وبالطبع رددت

-ممكن يكون اعتداء او ما شابه دا ؟

-لا مظنش . ماهر انت لمست الجروح دي ؟

طبعا مش محتاج ارد .. انا طبيب وحريص جدا على تطبيق الإجراءات الاحترازية ، بس مش على فضولي الخلاني اتفحصه اول ما وصل وبدون جاوينتبات طبيه ، بكل تردد في النطق رديت

- مممممم ... ا هـ ا ، هو مرض او فايروس معدي يا اليكسا ؟!

- شبيهه جدا بقرحة بورولي يا ماهر ، وملهاش علاج خاص بيها ..

- ينهار ابيض ، طب والحل يا اليكسا ؟؟؟؟

- هتتنقل لغرفة عزل كام ساعة تاخد فيها مجموعة أمصال عشان متوصلش لفترة الحضانة للفيروس ، وانا متمناش اشوفك تعبان .

سرير ممل بشاشة مملة و محاليل بتدخل جسمي ببطئ 4 ساعات ملل بصراحة ، وعقلي يبدأ يفكر في جملة اليكسا وهي زعلانة عليا واكسر الفكر دا، هو دا وقته يا باشمهندس !

***

- حمد لله على السلامة يا سينور ماهر

قالها البروفيسور سيرجيف مرحباً بعودتي من حجره العزل المؤقت ..

- المرة الجاية يا بروفيسور لو فيه مصل جديد تم اكتشافه ارجوك متنسنيش، انا بقيت مُحصن من الموت تقريباً .

تلك الضحكات المصطنعة على وجه البروفيسور سيرجف، وتلك ابتسامه اليكسا التي ترى ملامح وجهي وهي تعبر عن مبالغتهُ في الضحك .
لينقلب صوته وتتغير ملامح وجهه بجديه قالاً ..
- يا د.ماهر هو فيه مرض أعصاب وبائي ؟
- ااا .. اها أكيد طبعا، السحايا - داء وبيل .. وطبعاً أشهرهم الإيدز ولكن كلها تقريباً يا مَعِدية او تنفسية مش الأعصاب بشكل مباشر .
- في فتره تلقيك الأمصال يا سينور ماهر سجلنا 64 حالة إصابة وتوفى 80% منهم ، بصراحة يا د.ماهر الوضع ميطمنش ، الإصابات لها نفس الأعراض وبتبدأ بإنهيار عصـ....

"64 حالة ! ، دماغي بعد الرقم مبقتش مركزه في كلام تاني بيقوله عن الاعراض بالتفصيل مفيش جديد ، وجمله واحدة بس بسمعها في عقلي"
"مفيش مرض أعصاب وبائي..مفيش مرض أعصاب وبائي..مفيش مـ.."
وقطع حبل افكاري فجأه باقي كلام البروفيسور ...

- ... وقرح الجلد بتكون متفرقة كأن كانت حزام كرات معدنية مربوط بمغناطيس وفجأه يتفك عنهم قوة المغناطيس وتتبعثر، والأغرب يا دكتور ماهر ان بنلاقي نزيف للسائل النخاعي
- أيه ؟؟؟

لأول مره أقاطع البروفيسور بعد أسابيع من وجودي هنا، بس خروج السائل دا أمر غريب جداً مفيش فايروس بيوصل هناك ...

- أنا أسف يا بروفيسور سيرجيف ، بس ازاي بيحصل دا ؟!

- مقدر صعوبة استيعابك يا سينور ماهر، بس لازم اسيبك ترتاح يومك كان طويل انا عارف، روح غرفتك وارتاح لحد بكره .

"شكلها كدا فيه حد مش هينام ماشي جمبي"

قالتها أليسكا بنبره مَرِحه وهي ماشية معايا للفندق وكملت كلامها متسائلة ..

- أزاي يا ماهر محصلش ليك حاجة ومجالكش عدوى للمرض صح ؟

-- أوعدك المرة الجاية لو جالنا مريض عنده مرض معدي هبوسه يا أليكسا، بس كدا .. من عنيا

- لأ مش قاصدي، أسفه ! ، بس أنت مش بس خالطت المصاب لأ دا أنت لمست مكان جروحه ولو فايروس، أكيد كان اتنقلك العدوى !

-- بعيداً عن أنك تقريباً تقربي للفايروس وعايزاه يكسب مصاب جديد، إلا أن كلامك مُقنع ودا شيء أغرب بصراحه ؛ مفيش حاجة واحدة تربط الاعراض ببعضها وأن أصلا فايروس لأن طالما فيه حالات كان زمان انا منهم !

- أيه رأيك نسهر مع بعض نتفرج على فيلم او أي حاجة نقلل ضغط اليوم ؟

-- موافق، بس لو نمت بلاش مقالب بقى ها ؛ وبالمرة مفكرش لوحدي .

بعد سهره جميله من فيلم من أنواع الأبطال الخارقين الملهوش معنى دا ولله معرفش بيحبوا الأفلام دي بتتحب أزاي ، ما علينا ...
أليكسا نامت على سريري همهمت وغطيتها وقعدت على مكتبي مفرق ورقي قدامي ولازق منه على الحيط القدامي وعدلت نظاتي، تلك ذكريات الثانوية العامة، ...
"إنشقاق جلد وتفرق أجزاءه - إنهيار عصبي - صريخ صامت - نزيف للسائل النخاعي - حالات عدوى وغير معدي من البشر للبشر"
بس أزاي دا بيتم ، ازاي فايروس هدفه ان ميكونش حي، السائل النخاعي مفتقر بل معدوم البروتين ! ؛ الساعة وصلت لـ4 الفجر والحراره هنا بالسالب في الشتاء ودا شيء الا لما لقيت أليكسا شغلت التكيف للتدفئة وكَمِلتْ نوم، محستش بالبرد من التفكير الكان هيصبح هلوسة حقيقي أكبر عيوبي التفكير المستمر .
قررت اسيب أليكسا نايمة ونزلت أروح المشرحه في المؤسسة، فايتها مغامرة هتودينا في ستين داهية لو الفايروس اطور وبدأ ينقل بين البشر ! .

***

هذا الزقاق الذي لا يخلوا منه رائحه الأدوات الطبية الباردة وروائح الموت وبالطبع الأبيض القاتم الراهب برهبة مكان يسكنه الأموات ...
- بتعمل ايه هنا يا دكتور ؟ ..
- سلاماً قولاً من ربٍ رحيم، أيه يا عم أنت !!!
- أنا أسف شكلي خضيتك ،بس بتقول ايه أصلاً ؟
الشبح يكون الممرض سالفو أكتر الشخصيات الامباليه شفتها في حياتي ،والأكيد أن حتى لما أتفزع مش هترسم بالكام كلمة بالاسباني بتوعي أكيد هتكلم عربي !

- يا سالفو هو انت شايفنا في مطعم يا حبيبي ؟ حد يدخل يكلم حد كدا وفي مكان زي دا ؟؟!

جسمي كان بيترعش لسا ساعتها بس حاولت اهدى و اسأله ..
- فين الجثث الوصلت المشرحه أخر 24 ساعة ؟
- هناك في الغرفة رقم 19 مع البروفيسور جبريال محمدوف .

"جبريال محمدوف الوحيد الكان مسلم شفته في المؤسسة وقتها، من دوله كدا جمب روسيا وفيها نزاعات عليها لا أتذكر أسمها صراحةً ؛ ...

- بروفيسور محمدوف ، سلام عليكم .
- وعليك السلام ، عربي ؟

وصدقوني مفيش لازمه لكلام قعد ساعة الا تلت تقريبا نتعرف فيه على بعض بس الشيء الجميل انه شخصية لطيفه بصراحة .. المهم

بصيت للجثمان البيقوم بتشريحه وسألته ..
- مفيش أي عوالق في الانف او الجهاز التنفسي التثبت انه غاز سام ؟
-- كان نفسي أقول ان فيه بدل ان أقول ان كأن الجلد هو البيشتم الغاز
- أيه دا ؟ قصدك ايه ؟
-- يا د.ماهر ، مسام الجلد أوسع من المعدل الطبيعي وفيها بعض العوالق

لفيروسات ميته مجهولة الهويه شيء جديد على الطب عموماً ، كان فيه مجموعة إبر صينية دخلت كلها جوه الجلد ووسعت مساماه !

طلبت منه ان يفحص ايه الممكن يوصل الفايروس دا للشعيرات العصبيه او للنخاع والاستيطان فيه ، أو حتى خط سيره ، ورجعت غرفتي المتواضعة لقيت أليكسا نايمة برده .. يا بختك ولله .. و رجعت نمت على كنبة الصالة .

***

يدخل رب أسره متهالك ومنهك من يوم عمل شاق الذي يعبر عنه ملامح وجهه الطابع عليها أربعينيات العمر ، فهناك بعض القبائل متفرقه في الكوكب لم يسمع بهم احد ولا حتي يلتقط القمر الاصطناعي صوراً لوجودهم على هذه الأرض ؛ الذين يصطادوا الأسماك من النهر او يجمعوا محصول تلك البذور التي زرعوها من أسابيع وشهور ، او يقطفوا ثمار من الأشجار في الغابة ، ويد هذا الأب مليئه ببعض السمك والثمار الطازجة يناولها لزوجته بيد ترتعش بشكل لا إرادي ، قد يكون من الإجهاد ويجب عليه أن يرتاح ! .

***

اليكسا صحتني في معاد بدأ اليوم الروتيني كطبيب في عيادتي في موزجا ، وذهبت هي لغرفتها وعند قرب وصولنا لباب المؤسسة ..

- يا ساتر يا رب .. أيه عربيات الإسعاف دي كلها ، حالة تسمم غذائي ولا أيه ؟

-- مش عارفه مش الشكل ميطمنش يا ماهر خاالص !

- البروفيسور سيرجف بيشاورلنا من الباب اهو .. فيه ايه يا بروف ؟

بتوتر مع لهجة استعجاليه مش مبشره قال ..

- 7 حالات يا سينور .. سبع حالات ! ، من فضلك عايز تفاصيل في أسرع ما يمكن

وتكون على الأقل تخليني أتطلع عن أي سطر كتبته بليل بعد العيادة يا دكتور، عشان نلحق نبلغ منظمة الصحة يا دكاترة أننا في أعتاب وباء فتااك !.
بصيت على أليكسا وبلغتها أن لازم نرجع للعيادات بتاعتنا و مشيت بكلم نفسي بصوت واضع ..

- مفيش تشخيص واضح ، كان أخر سطر كتبته ، مهو معنديش غيره ..
"قلت الكلام دا وانا بقلب في النوت بتاعتي وانا بمشي ببطئ وكملت كلامي .."
- الأعراض غير مترابطة أزاي بس .. يا ممرضه -بيرام- من فضلك هو أيه الحصل أخر 24س للمصابين ..

"الممرضة بيرام مسؤولةعن العيادة بتاعتي وبقابلها على باب عيادتي كل يوم .."

-- يا دكتور ماهر الناس هنا قبائل قليل فيهم اليعرف أن المستشفى ممكن تعالج أحسن من الأعشاب، ودا خلى وصول الحالات اتأخر للأسف ولكن شباب الإسعاف سجلوا بعض التمتمه عن الأحداث من الأبن الأكبر للأسره وهو كان بيلفظ أنفاسه الأخيرة .

دخلت العيادة وانا بفتح الورقة السلمتهالي الممرضة بيرام ، ...
> الأب كان ايده بتترعش عند وصوله لأسرته .. بعد ساعتين او أكتر بدأ جسمه بيرتجف وينزف سائل شفاف من جرح في الرقبه .. وبعد كدا واحد تلى الأخر في الأعراض .

***

وصلت الساعة أخيرا الى السادسة مساءاً وان ادل هذا فدال على اجتماع عاجل ساعة او اكتر ، حبيت أستغل دا واخلع قناع الطبيب وابدأ ببالطو المحقق شارلوك هولمز أروح لعيادة أليكسا الهي كمان بدورها لازم ليها تفسير عن الجروح الغير نازفه لاي دمٍ أحمر ...
وريتها صور الجروح في أخر مراحلها من الجثث وشريحة للمسام في الجلد أملاً في إيجاد تفسير للجروح المجهولة تلك ، وجالى أتصال وهي بتفحص الصور من طبيب المشرحة محمدوف ، الطلب حضوري في ضرورية واضحه ، وخدت معايا أليكسا و أهو تشوف كمان عن كثب مش مجرد صور .

- ينهار أبيض ؟؟ أيه دا ؟
قلتها وانا ببعد عنيا عن المايكروسكوب وانا متوتر و في زهول كملت كلامي ..
- أزاي كدا ؟ أزاي يقدر يعيش مخلوق بالحركة النشطة دي جوه بلازما النخاع ؟
ويليزاد الأمر سوء ترد أليكسا وهي بتفحص شرايح للجلد من مايكروسكوب آخر ..
- داب ينقسم ويتكاثر بشكل مش طبيعي !

وهنا اتصلت بالبروفيسور سيرجيف ان لازم الاجتماع يكون عام لجميع الأطباء في المؤسسة ! .
وأتقفل وميض البروجيكتور بعد محاضرة عَرض فيها الدكتور محمدوف الصور وشرايح وبعض المقاطع لحركات الشرائح ..
طُفيل او فيروس بينقسم ويتكاثر بسرعة مش طبيعية، قادر على اختراق الجلد في زمن قياسي ولو كل دا أمر خيالي فالاكثر استحاله وتخيل هو أن الفايروس دا بيعيش جوه السائل النخاعي ولكي أوضح لك الصورة .. فلك أن تتخيل صعودك

على المريخ وبدون بدلة فضاء و تأخد نفساً عميقا في الفضاء ! ، مستحيل أليس كذلك ؟ ؛والأن تبدأ محاضرة تعليق من رائد البحث العلمي في قسم الفايروسات البروفيسور الألماني وايبرن تينجيت ...

- بعد عرض الشرائح خلونا نتكلم الأول عن آليه الفايروس ..
في الأول بيدأ تجمع الفايروس من لمس سطح ملوث ومن ثم بيبدأ يولد سلالة رقم1 الباين عليها شرسه جداً في اختراق فتحات الجلد كأنها مُدربة على خطط تكتيكيه ، وبعد كدا بيظهر الجيل التاني من السلالة رقم 1.2 وسلالة جديدة جدا أسمها رقم 2.1 وحاولوا تركزوا معايا ، وجود سلالة بتكسر روابط اللحم والعضلات والاورده هيوصل للجهاز المناعي ان فيه عملية هجوم على الجسم وهنا دور السلالة التانية البتقدر تعطل المستقبلات بتاعة الجهاز المناعي ودا يفسر انحسار الجلد وتفككه ومش بس كدا بعد عده ساعات بيتم تأكل خلايا الاعصاب في الأطراف بعد اختراقها ، ودا يفسر عدم وجود الآلام أو ارتفاع للحرارة ، وهنا بيظهر السلالتين 1.3 و2.2 و البدورهم بيكونوا وصلوا عن طريق الشرايين والقنوات العصبية الى النخاع وبيدأ هنا عدد كبير منهم بالموت لعدم وفره بروتين كافي لغذائهم وهنا يظهر الفايروس بتاعنا اخر مرحلة الفايروس رقم 3 الدامج بين خواص 1.3 و 2.2 ، والقادر على الحياه بدون غذاء والبدورها بتصل للمخ وتتلف خلاياه في دقائق بإنقسامها ويتوقف أجهزة الجسم ووفاة المصاب ! ؛والسؤال الذي لا رد له والذي لا يوجد غيره ! ، ازاي فيه فايروس او طُفيل بالشكل دا ؟! .

ازاي فيه فايروس كدا ؟ ، سؤال يخيم على الحاضرين بالصمت، غير ممكن وجود رد على أسئلة كتير من امثلة ازاي فتره حضانته سريعة كدا او منهجته العسكريه في تطبيقها والأغرب أنه غير معدي بين البشر وبعض .. أو لحد دلوقتي ع الأقل!.

***

صباح يومٍ طبيعي جداً يخرج رجال وشباب القبائل التي تعيش على ضفاف افرع نهر الأمازون ، إما للصيد او للعمل في جمع الثمار او حتى استخلاص الزيوت او تجميع افرع الأشجار التي تعيق حركة الأسماك في النهر او إزالة الحيوانات الميته .. او حتى اذا وجدوا بعض انابيب الاختبار وبعض الزجاجات المهشمة على الأرض !. وبعد جمع مجموعة الرجال هذه الزجاجات والانابيب الزجاجية البعض منهم يده ارتعشت بعد دقائق فقط بصورة غير مسبوقة وفي ثوانٍ سقطوا جميعا دون أي صراخ ولكن اذانهم لا تزال تسمع كلمات بلهجة غريبة عليهم وهم يهيمون بالزي الأبيض القاتم بعدما جمعوا باقي انابيب الاختبار وهموا سريعاً ! .

***

نقاش دام اكثر من ساعتين عن أي رأيي في هذا الاجتماع الذي الى الان .. لا فائدة منه تماماً ، فحتى طب المناطق الحارة لا يوجد عنده تفسير مطلق لهذه العبثية المنظمة ، ببساطه انه من المستحيل ان تحمل بعوضه هذا الكم من الفايروسات داخلها لنقله بين البشر ، نحن أمام فايروس مصنع في معمل ! وهذا أمر كارثي ! يرن هاتف قسم الطوارئ قاطعاً النقاش البارد هذا ! .. والذي كان رد البروفيسور سيرجف عليه ..

- 23 حاله مع بعض دفعة واحدة ؟ ؛ طب حالوا تبعتوا تعزيزات بعربيات اسعاف اكتر .

أغلق الخط وبدون أي سابق حوار .. قال محركاً إصبعه علينا ....
- بروفيسور دانيل ، دكتور ماهر ، الممرض بيلاجو ، حارس الأمن بوبيرت .. جهزوا نفسكم في رحلة أستكشافية مدتها 24س هتبدأ بكره الصبح ، لازم نحدد على الأقل ايه مصدر العدوى وصدقوني الوقت مش معانا للتصويت مين يروح ؛ انا عايز حلول !.

بصراحة انا عمري ما قرأت عن البيرو بإهتمام لأن أكيد مش متوقع ان اروح هناك يعني ! ، لكن كلها ساعات قليلة جداً واروح في رحلة قصيرة في براري البيرو، قابلت الحارس بوبيرت في طريق عودتي للفندق وسألته عن النوع دا من الرحالات ودا شيء بديهي لان دي اول مره ليا ساعتها اخرج بره مباني المؤسسة .
- القبائل هنا يا دكتور أقل شراسة من الفي غابات إفريقيا لكن أكثر دهاء وفتك ودا ناتج عن خبرتهم الطويلة مع العصابات سواء ضدهم او في مساعدتهم !، 12سنة عدت من اول يوم وصلت فيه المؤسسة عملت اكتر من رحلة استكشافية وبتكون اكتشاف مكان فيه حشرات ناقله لفيروس نبيدها او جروح مسمومه من حيوانات مفترسه ملهاش مصدر ومواجهاتنا يا مع القرود او القط النمر او ما شابه دا من الحيوانات البتدافع عن نفسها وبيئتها، فمتقلقش مش هتلاقي عصابات او جيوش هناك ! .

نعم تلك اللحظة التي لو تجسد فيها المستقبل في الواقع لضحك بشده رداً على أخر جملة نطق بها الحارس بوبيرت .

***

وها نحن أربعة رجال واقفين امام الباب في انتظار وصول السائق بالعربه بعدما مرت علينا نصف ساعة أو أكثر في أخذ التطعيمات والأمصال ضد أي مرض محتمل الوجود به ..

رحلة إجابة لكثير من الأسئلة المطروحة في المشكلة !.

يقف جانبي البروفيسور سيرجيف عن الصندوق الأخضر الكبير الذي يدخل الى باب السيارة الخلفي !

- دا صندوق فيه أدوات وسلاح حي وذخيرته .

كأنه يقول انه صندوق حلوى ، وبدوري رددت ..

-- يا بروفيسور اغلبنا مش هيعرف يستخدمه أصلا ! واظن ..

- أغلبهم دا أنت بس يا دكتور ماهر ثم لو خرج ليكم حيوان حب يأذيكم هو وقبيلته ايه الحل ؟ هتقولهم انا دكتور !

لقيته مسك ايدي ودفن فيها بندقيه صغيرة وأعاد نظره للسيارة .

- يا بروفيسور أقسم لك ان مش بشوف الأسلحة دى غير في الألعاب .. معنديش فكرة لإستخدامها !.

سكت ومأعرليش انتباه و تأكد من كشف الامصال الأخدناها الصبح .. ورد عليا وقال ..

- يا دكتور ماهر لأخر مره فكرك أيه الممكن يحميكم من مكان ظهور المرض الواضح عليه مخلوق معملياً ، فممكن أحميكم بأيه غير سلاح و أمصال ! .

***

صدقني السبب وراء قصر الاحداث وتسارعها هو أن أسبوعين او أكتر في المكان دا مش كافي خالص ان يتعرف عليك ناس ويحصل بينك وبينهم مغامرات عن ازاي

قتلنا تنين مجنح او حتى أن مع الرحلة دي هكون بكتب أول بداية لكتابة أحداث أعمق وتفاصيل هتكون أحسن من كدا طبعاً .. وأهو بدأنا نركب العربية واحد وراه التاني طبيب مناطق حارة و طبيب المخ والأعصاب الشاب وممرض وحارس أمن وسائق للسيارة البتنقلنا لما هو مشكوك أنه المصدر لظهور الفايروس .

حوالي 3 ساعات في طرق ضحلة وتوقف مستمر لتشابك الأشجار وصعوبة المرور بيها وهنا كنت مستمتع استمتاع طفل في السادسة وهو اول مره يشوف القرد في حديقة الحيوان حقيقي مهما حصل بيكون فيه بيئة خضراء خطيره ومريحة جداً للاعصاب من أصوات للحيوانات او خرير النهر، أو .. صوت زجاج يهشم بصوت مكتوم ، زجاج ؟! في الغابة !

خرج السائق ليرى ما في الأمر فهو من قبيلة قريبة من هنا وهو دليلنا في الغابةِ تلك .. وليس من الطبيعي ان يسمع هذا الصوت وهو يتحرك في الصحراء !.

بصيت للبروفيسور دانيل وسألته ..

- هو طبيعي يتأخر كدا ؟ دا حتى منبهناش لو فيه مشكلة !

-- هو صحيح أتأخر شويه ..

أكمل جملته في ملل متنهداً ..

-- .. هنزل اشوف فيه أيه

لم يمكث لثوانٍ وإذ ينادي لي البروفيسور دانيل هارعاً بأسمي طالباً مني المجيئ لرؤية ..

نعم أنه جثمان السائق كما توقعتم جثه هامده حولها بعض انابيب زجاجية صغيرة تستخدم في جمع العيانات وأيضا حوله بعض الإمبولات المهشمة !

ارتديت في عُجال قفازي الطبي وأمسكت أثنان او ربما ثلاثة من العينات الملقاة

على الأرض في حذر شديد وضعتهم في علبة مستطيلة صغيرة أخذتها من أدواتنا في السيارة ووضعتهم في جيبي، وصدقني لو كنت مكاني لتمنيت الوجود في حقل ألغام على أنك لا ترى أنبعاثات أنفجار اللغم تحت قدميك ، عدنا للسيارة بقيادة البروفيسور دانيل الذي كما حكى لي في الطريق على أنه كان جندي في الجيش ولديه خلفية عسكرية عالية وها نحن نعود في حالة من الصدمة ويكسر الزهول هذا شيء ما تم ضربه بنا كسر الزجاج الخلفي للسيارة وتومنا أنها رصاصةٍ من مصدر مجهول وبدأ البروفيسور بكسر السرعة الأمنه بين الأشجار حركة الاهتزاز جعلت تجهيز الأسلحة أصعب بسبب عدم التوازن لدرجة أني شعرت أن أعضائي ستهرع من مكانها من قوة الصدمات التي تتلقاها السيارة بنا ، وعند توجيهنا لاطلاق اول رصاصة وسط علو أصوات الحيوانات رأينا جسد غريب يتحرك نحونا بسرعة غريبة "أيه دا ؟؟؟" وفجأة من حولنا أنبعث غاز من جسم غريب داخل السيارة أنه الشيء الذي ثقب زجاج سيارتنا ..

وبعين تتخدر نتيجة أنبعاث غازٍ ما من هذا الجسم الغريب داخل السيارة وجدت البروفيسور يرتدي قناع غاز ولم أشعر سوى بالظلام وبرودة أطرافي .

لتهدئ هذه الأحداث المتسارعة جداً .

بدأت افوق على شده من كتفي بإيد البروفيسور وهو بينيمني جمب شجرة ضخمة و غرس إبرة حقنة لمصلٍ ما وعادت اليّ حاسة السمع ثانيةً ولكن صوت حركة الحيوانات وانفاس البروفيسور دانيل الذي عندما سألته عن ماذا حدث لنا ولكن قاطعني طالباً مرة اخرى ان اجري معاه بدون إحداث أي صوت والذي كان واضحاً من أصوات آناس تطلق قنابل غاز مجهول المفعول بشكل عشوائي جداً، والذي تفهمته من البروفيسور انه متخذ احتياط اذا هاجمنا احدى القبائل او العصابات وان هناك سيارة في نقطة ما في الغابة، وهنا أستمرينا في الفر والهروب .. أأأهه

أخيراً .. خرجت مني هذه الجملة عند ظهور السيارة على مرمى البصر لنا، حقاً يوماً لم أتوقع ان يكون بهذا السوء ، افرازنا للأدرنالين كان مناسب لاكسابنا قوه تحمل لعملية هروب دامت لاكثر من ساعتين .
دخلنا السيارة وبدأنا نهرع بأقصى سرعة لنا ولم يطيق صبري انتظاره لإجد نفسي اسأل ما الذي حدث بصرخةٍ لها عُذرها ... ولرد البروفيسور دانيل نفس حماستي في الرد ...
- الأوغاد !! ، معاهم أسلحة ملهاش مثيل رصاصها كله فيروسات أخس أنواع الحروب هي البيولوجية، بعد ما ضربوا قنبلة الغاز كتمت أنفاسي ولبست قناع الغاز وشديتك ونزلنا مكنش فيه حد جمبي ساعتها غيرك وقبل ما اسحبك في الأرض غرست إبرا حقنه بتمنع تأثير الغاز لو كان سام وسحبتك بين الأعشاب وحقنت نفسي بنفس نوع الحقنة وبعد ما لقيتهم بعدوا عننا شديتك لمكان أبعد وحقتنك حقنة إفاقة من الغاز المنوم ..

قاطعته في عجال ..
- أوصافهم ايه، وأيه الجسم الغريب الشفناه واحنا بنهرب في البداية بالعربية ؟!

اخرج سيجارتهُ وبدأ ينفثها في ارتجاف ، أعلم أنه يحاول الهدوء فليس من السهل ان يواجه الرجال وهم في عمر الخمسينيات من عمرهم تلك المطاردات النشطة الصعبة .
فبدأ يشعل الثانية وهو يرد بهدوء مرتعش ..
- اه ، الجسم الغريب .. وجودنا في غابة ميمنعش وجود حيوانات عمرك ما شوفتها ودا تفسير واقعي ؛ أوصاف الاوغاد دول ملامحهم مقدرتش احددها من

القناع بس فيه شعار بارز من بالطلو الطب المُنجس الـ لابسينه ،وبصراحة مكنتش مركز في شيء أكتر من هروبنا ! ، يا ماهر ! أحنا داخلين في منعطف مسدود ونادر الحدوث في أماكن يسهل فيها نشر فيروس مهجن ومخلوق معملياً، النوع دا من الحروب من اقذر واخس الحروب .

"شيطان العلم" جملة رددتها في بال نفسي بعد سماع هذه الكلمات ! ، حرب بيولوجية ليه ؟ وعلى حساب مين ممكن يحصل النوع الرخيص دا من الحروب!.
6 ساعات كانت الاسوء في حياة من ركب سيارة رحلة الإستكشاف تلك فالناجين منا فردين اثنين فقط و ثلاثة منهم فرد متأكدين من وفاته .. تذكرت ! وعندما وضعت يدي على معطفي اطمئن شكي "حمداً لله .. لازالوا معي"، نعم انها تلك العينات تتذكروها ؟ .
وصلنا الى المؤسسة ولا تزال اثار التعب والمجهود والصدمة بارزة على وجوهنا !.
بعد أكثر من نصف ساعة للحوار في أجتماع سريع مع من كان موجود من الأطباء وشرحنا لهم ما وجدنا ، تعابير وجوههم لم تكن مهمة لدي اكثر من تعبير أليكسا التي كانت بجانبي طيلة الوقت،فهي صديقتي الوحيدة هنا ، وعرضت عليهم أمبولات الاختبار التي اخذتها من هناك ورشحت أن يكون هناك عينات مع البروفيسور تينجت الباحث في علم الفايروسات و طبيب المشرحة محمدوف ليطلعوا عليها ويخبرونا بما هو سبب في جعل السائق يسقط ارضا في دقيقتين فقط ! .
ولم يكن لدي أي طاقة لاي دقيقة إضافية وبالفعل استجاب البروفيسور سيرجف لطلبي وذهب الى الفندق ..

وتبقى عينة أحتفظت بها لإجل ما أجعل اليكسا تلاحظها في طبيبة جلديه ولكن اردت الموضوع سراً لان أعرف قبل الجميع ما الذي يجعل الفرد يسقط ارضاً هكذا ؟!.

وطلبت منها أن توافيني في وقت بأي جديد وبحذر شديد ، هذا الشئ سريع المفعول والانشار وبالطبع حذرتها لهذا جداً .

وأخيرا أنتهى اليوم المميت هذا !.

رن هاتفي في الثانية فجراً هاتفي الشخصي ! .. سمعت صوتها الرقيق الذي واضح عليه تأثير صدمة او شيء من قبيل هذه المشاعر الراجفة للقلب ..

- ماهر .. أسفه ان صحيتك بس لازم احكيلك على حاجة مش هتستنى للصبح !

رددت عليها محاولا تهدئتها لما في صوتها من قلق ..

- لالا يا أليكسا .. قبل أي حاجة أهدي بس كدا .. أجيلك طيب ؟

واكملت في تنهيدة تحاول بها توازن افكارها وترتيبها ! ..

- لالا خليك مرتاح ، عايزة بس أقولك عن نتيجو العينات السلمتهالي الصبح ، الشريحه فيها شيء غريب يا ماهر .. كأنها سلالة تانية خالص فيها نفس الحمض النووي بتاع العينة المعانا يعني نفس الفيروس بس جيل جديد منه ! و باين ان من حسن حظكم ان دي متكسرتش ...

- اه فعلا اللون دا من الأمبولات متكسرش وعشان كدا كانت مميزه اوي وخدتها، بس عرفتي منين ان مفيش منهم اتكسر ؟!

- هقولك الأول خصائصها أيه .. ببساطه وواضح انها أقل نشاط من ناحية الجيل الأول بعد الإصابة ولكن مع وصولها للجلد فورا بتتكاثر أسرع من العينات المعانا وبتوصل أسرِع للجسم الداخلي مش زي الطبيعي فتره حضانته 6-8 ساعات .. لا دا في اقل من 10د بيتم الوفاه للمصاب ! ...

- يا ربي !! دي عملية إبادة مش مجرد تجارب مجنونة او حتى حرب بين دولتين!.

واكملت وهي كانت تحاول ان تُفهمني ان الامر لا ينتهي هنا فقط ..
- المشكلة مش هنا بس يا ماهر .. الامبول دا كان كافي يقضي عليكم كلكم لو كان اتكسر ! ، لان ببساطه الجيل دا بينتقل عبر الهواء بمسافات 4 متر يا ماهر !.

وكانت دي القشة الهتهشم قطيع من البعير .. أكتفيت بالصدمة الكافتني أن فتحت مفاصل فَكي لثوان في اتعس مكالمة فيديو في التاريخ البشري .

الجزء الثاني

قفلت المكالمة، مش محتاج اعبر عن العايز اوصفه .. إحنا داخلين على كارثة بمعنى الكلمة ! ، بلغت البورفيسور سيرجيف ان اتفرغ على قدر أوسع للبحث في إيجاد تفسير وحل للمشكلة المنذر منها بكارثة وبائية ، مكذبش خبر .. خدت موافقة بعدم الإلزامية بالحضور في العيادة بس في حالة الطوارئ أكون سابق اسرع طبيب يحضر ، كلام من نوع التنبيه على عدم الكسل والذي منه ، بلغت أليكسا تخلص ورديتها وتحضر عندي ، تقريبا انا البقيت ضيف مش هي .
جرعة من المهدئ البقى تقريبا مادة "البنزوديازيبينات" بقت أكثر من كرات الدم الحمراء في شراييني؛ الوضع أصبح مقلق زيادة .. أيه الممكن يجعل مجموعة من الناس تعمل مذبحة فيروسية بالشكل دا ؟! ، مفيش مبرر ؟ مهو برده دول مش مؤذيين على أي شيء لا سلطة او حرب ولا حتي عايزين يدخلوا مجلس الشعب يعني! ، القتل بالفاي.. دي إيباده ! ؛ تعبت من التفكير !!! .
وصلني رسالة من اهلي فتحتها وان بتحسس مكان غرس ابره الافاقة في رقبتي، مممم .. دي رسالة كل أسبوع البيكون فيها كم من الكلمات المعهودة من قبيل "أكلت ؟ ، نمت ؟ ، منتظم في الصلاه .. إلخ إلخ" ، مليتوا ولا لسا ، انا مليت من الكلام دا بصراحه بس حبيت احكيلكم عني ولو في بعض السطور .
نتايج التحاليل ظهرت ودا معناه ان لازم أجهز بريزينتيشن زي بتاع الجامعة دا .

***

بعين يملائها الثقل والتعب الشديد ، ينظر حوله وعنيه لا توضح سوى بعض الصور التي يملئها النغمشة ، جثتان بجانبه ! ، ادرك ان ما ألقاه ساكناً بجانب الجثتين .. غاز السارين القاتل للاعصاب ، بثقلٍ مُقاوم حرك يده في جيب سري داخل قميصه مُخرجاً حقنة البراليدوكسيم ، ليغرسها في فخذه ليمنع مفعول شلل

الاعصاب الداخلي، تلك الصرخة القاسية المكتومة ،ضغط عليها متألماً بتأثر الوخذه وبعد دقائق ، لم يكذب خبراً واخرج جهاز يشبه الهاتف واتصل بقوات الشرطة وقبل ان يغلق الخط كان قد فقد الوعي مرة آخرى .

***

وصلت اليكسا ،بس هدف وجودها كان مشاركة افكاري معاها ، بس كانت لسا بلبس العيادة .. قبل ما أسئل سؤالي رن صوت النداء من غرفة الاستقبال الكان بيطلب وجودي في غرفة الطوارئ ؛ ..

- عرفت ليه يا دكتور المره دي مدخلتش زي العادة بالفشار !

بصيت ليها بإسلوب الابتسامة الساخرة الخاص بي .

وفي جو يمتاز بالكئابة واضاءة المستشفيات الخافتة ،امتاز الجو بأضواء الأحمر والأزرق والمزين بالابيض البارد ،فمن البديهي ان الشرطة قد وصلت وان هناك أمر غير عادي هنا ، فمن الطبيعي ان عربة الإسعاف هي من تُق.. ..

نادى عليا من بَعِيد البروفيسور سيرجف ،وبدأت بسؤال هو مين دا الداخل بالعربيات دي كلها يا بروف ؟

- الممرض بيلاجو

قالها لي وهو يحاول ان يرى بعين المدير الذي ما دائما يقف من بعيد في كبرياء .. وبدوري رددت عيله قائلاً

- ولله معرفش ان حضرة الممرض بيلاجو رئيس منظمة الصحة تقريباً .

نظر لي محاولاً كتمان ابتسامة ..

- حقيقي مش محتاج اقولك ان الوقت لا يصلح لأي سخرية سوداء من بتاعتك يا

سينور .. بلاجو استخدم رقم الطوارئ الخاص بالشرطة البدورها عرفت تعثر على جثمانهُ الحقيقي بتختفي فيه ملامح الآدمية .. عموما لازم تبدأ تشخصهُ يا ماهر .

وجه وقت التش.. ، فعلاً نعمةٌ انكم لستم هنا ، رائحة كريهة تشبه الغرغرينا والتي تعتبر هي عفونة جرح قطعي لم يتلقى عناية تماماً وتم تلويثه ولكن هي ليست لأي طرف يحق لي بتره ! ، بروز حاد واضع في عظام الفك وتغير لون البشرة لما هو لون أشبه بما بعد حرق بماء مغلي الأحمر الدموي والذي كان مميزاً جدا بسبب بشرته السوداء .

ميلت رأسي تجاه البروفيسور سيرجف قائلاً ..

- مهو يا إما البدر مكتمل بره يا اما احنا في عصر الموتى السائرين ، هو ايه دا ؟

- ماهر .. عشان احنا مش في فيلم رعب حضرتك هنا لازم تدخل غرفة العزل دي وتشخصه وهنتابعك من الزجاج دا !.

قال كدا بنبره جديه ، الوضع فعلاً بدء يظهر علامات التوتر عليه .

- طب يا بروفيسور ، حضرتك شايف كويس ان انا مش هخطو خطوه واحدة الا لما يكون فيه فردين امن على الأقل معايا جوه ، لان لا أزال مش عارف ادقق فيه .

دخل فردين أمن اشداء فعلاً ، وبكل اشمئزاز أسكوه وثبتوه على السرير وبدون أي نظره ثبت كانولا فيها سائل مُعلق من مادة الدروبيريدول ومواد أخرى كنوع قوي لتهدئة هذا الثور الهائج .

وتلك النصيحة المتوارثة الابتعاد يولد الجمال ، فما بالك انت انك امام الأشد قبحاً ، للأسف اقتربت جدا للتشخيص والواضح ان ما رآيناه من بعيد ليس الا عنوان فقط لوصف ما يوجد .. والذي جعلني عندما اقتربت انتفض وأتخيل ان لولا خبرة البروفيسور دانيل-بو في توقع ما سيحدث ورد فعله السريع لكان هناك

سريرين يحملان هذا المخلوق الذي امامي والذي كان ملاحظ فيه ، انحناء جسده كوقفة القرود تقريباً ،وندوب عظام الفك التي غالباً ناتجة من تورم كالتي في سرطان اللثة ،والعينين .. يغمر اللون الأزرق مكان صلبة العين[1] مقارنة بلون قزحية العين[2] والذي كان واضح جداً توسع حدقة العين بشكل كان أكثر من تعبيرها للوصول لأقصى درجات النشوة ، بعض الجروح إياها المصاحبة للفيروس اللعين الغامض وأيضا واضح مشاكل في الجهاز العصبي ! ؛ثمة خطب ما هنا ، بات ظاهراً جداً ان ثمة كارثة أكبر من كونها لعنة الغابة المسكونة ببعض الأطباء الغير آدميين .

- القتل الرحيم يا بروفيسور ! ، يجب ان نطبقها فعلاً !

قلت كلماتي وانا انزع قناع الغاز الذي طلبته بسبب رائحة اللحم البشري المتعفن موجهاً كلامي للبروفيسور سيرجف والكان واضح عليهم عدم الاعتراض على رأيي وأكملت وانا اضبط ثيابي من نزع لبس الكشف في غرفة العزل الفيروسي ..

- واضح جداً يا بروف ، ان فعلاً بيلاجو بيعاني وبشكل قاسي جداً ، وللأسف فيه ملامح علامات الفيروس المجهول إياه ، ولا أظنه يحتاج مراجعة تشخيصية مرة أخرى .

لما كنت بقاوم رغبة صاحبي عماد في مصر أيام الكلية ان أتمرس جراحة المخ برغم ان دراستها بس كان رفضي في ان مكنتش بحب شكل الجروح القطعية بشكل يخليني افضل بكامل تركيزي لساعات ،خصوصاً لو جرح غير طبي !.

---

[1] مكان بياض العين

[2] بؤبؤ العين - نني العين

طلبت من طاقم التمريض بعدما تطلبت ان أمشي من البروفيسور سيرجيف الكان صامت بطبيعة التفكير فكلامي ،وطلبي كان ان يكون كل 4 ساعات اتوافى بملاحظات عن حالة بيلاجو .

***

يوم الأربعاء ،يوم اشرافي وتشخيصي في مصحة الطب النفسي ولقيت موظفة الاستقبال بتسلمني جواب مكتوب بعناية خطية مرهقه لليد وتنسيق غير عادي .. وهذا معناه ان من كتبه يفكر أكثر في كل حرف ، وغالباً كتبه عدة مرات قبل ان يقرر ان يكتبه في ورقة الدفتر المقطوعةِ تلك ...

[[دكتور ماهر ، عندي رغبة شديدة في أن أشرب معك فنجان من الشاي ، لا أعلم قد تسميه حماس لمقابلة طبيب عرفت انه إسمٍ على مسمى بإعتبار ترجمة اسمك للغتي ،والذي وظف بعد هذا الروتيني الذي يصف الدواء دون زيارتنا اصلاً ،
وبرغم انك لن تصدق ما ستراه او سأحكيه كلما تراني ، الا انني أشعر انك مختلف عن الباقيين ،

انا حتى لا أعرف أسمي الان .
غرفة "91"]]

بصراحة انا بعشق تقدير الورقة والقلم فهم لديهم مفعول السحر في تحرير عجز الحوار ،وبم ان أصلا هذا يومي الأول في عنبر الاضطرابات والاكتئاب بعد شهر تقريبا في عنبر الاستقبال وطبعا مش محتاج اقولكم ان اكيد هزور الغرفة 91 .
بعد مراجعتي للأدوية ووضع جدول زيارات لتشخيصهم وزيارة أحداهم ، القسم دا فعلاً بيخليني عايز أكتب عنه كتير من ما اريد ان احكيه .. بالنسبة ليا القسم دا وقسم الجنايات من اهم الأقسام في المؤسسة لما فيه من أسرار .
دخلت الى مكتب قاعدة البيانات للقسم ، وطلبت من المسؤولة هناك السيدة الكنديةِ تلك ،بعدما حييتها ..
- من فضلك عايز اشوف بس تفاصيل الغرفة رقم .. 91

أغلقت الورقة التي في يدي ونظرت لها ..

- بحب حقيقي حماس الشباب الجديد ، انت اول مرة أشوفك في القسم هنا ، كنت فكراك دكتور باط.....

> باين كدا والله أعلم كل موظفات خزنة البيانات بيحبوا الحماس الشبابي، وراغين جداً ..

- انت مركز معايا يا دكتور .. أنت أسمك ايه صح ؟

- ماهر .. ماهر مصطفى .

- طيب يا سينور ماهر ، الداتا اهيه .. قسم المستجدين بس انتقلت هنا لما تعانيه من اضطرابات نفسية ولكن التشخيص هنا بيقول ان النقل مؤقت لما يتم التشخيص الكامل لما يوجد في غموض في الشخصية ،لان لوحظ عليها اكتئاب وبعض الطاووسية وكمان ضعف في الشخصية .. حقيقي مش عارفة .

- طب ممكن حضرتك أطبع الكلام دا ؟

أااااه الحمدلله وأخيراً ،صداع حقيقي ! ؛ "آلثيا هوفر" – غرفة91 .

تلك الملامح .. كما توقعت ملامح إنجليزية ،تعكس تماماً ثقافة فنجان الشاي ، ملامح شابة لم تتعدى الثلاثون والورق يقول انها ابنة 28 عام ، الشعر البني المائل للاحمرار ، والبشرة الإنجليزية البيضاء وقصر القامة المميز ..

- دكتور ماهر .. أهلا بيك يا دكتور ..

قالت كلماتها وهي تصافحني وأشارت للكرسي المرافق لكومود الغرفة ، وبلكنة الاسبانية التي ينطق فيها أحرف لا توجد في الاسبانية أكملت ..

- أنا لم أخسر رهانٍ قط ... عرفت انك قادم لا محال شك ! .. أتع..

- لا مانع إن تحدثتي بالإنجليزية ، لانك لا تجيدي الاسبانية بالمناسبة ! .

-أنا لا أجيد الأسبانية .. أنا فقط .. فقط ..
كانت تحاول تكملة الكلام بالاسبانية لكن لم أكتم أبتسامتي لمحاولتها التي بعد التوتر انتهت .
مُحاولاً كسر التوتر الذي ظهر بالاحمرار على وجهها ..
- كنت فقط أرى مدى ثقتك في نفسك ، انا واثق تماماً انك تجيدي أكثر ولدي كامل الثقة على الاقتناع بهذا ..
قاطعتني قائلة بالانجليزية ..
- وعلى ذوقك المشكور هذا ، عندك كام سنة يا دكتور ماهر ، ملامحك تعطي عشرينات العمر.
- ابريل الجي ، هتم 33 سنة انشاء الله ..
- مسلم ؟! ، متوقعتش انك مسلم خالص !
- بعتالي ورقة بتطلبي فيها انك تقابلي دكتور القسم الجديد ، وفيها اسمي "ماهر مصطفى" .. ومعتعرفيش اني مسلم .
اضطراري ان ممشيش هو تشخيصي النهائي ليها ، ودا ميمنعش ان ردي كان وقح.!
- أأ.. أسفة ، شكلي ضايقتك ، مكنتش أقصد بس اول مرة أشوف صورة غير البتتنقل لينا عن المسلمين في أوروبا ؛ فـ أنا اسفة فعلا !
قالت كلماتها بخجل واضح وقبل ان افكر في رد لها ، أكملت بإبتسامة ممده يديها اليمنى ..

- مارلين .. الصحفية والمراسلة المعروفة لشبكة "سي أن أن" "مارلين تيفيز" ، هنا ليه بقى بصراحة انا فعلا مش فاهمة غير ان كنت مسافرة لكتابة تقرير ..

والتي لم تكمل كلامها حتى شعرت ان ملامحها تغيرت للحزن ولكأن هناك شخصين بوجهين ، حقاً كل يوم احياه في داخل هذا البالطو الابيض ،وبدأت بالبكاء الغير مُغرق وتحدثت بتقطع ..

- انا شوفتها .. الدم ..

وتحسست رقبتها وأكملت ...

- لم تكن سوى مدافعة عن نفسها ،مش ذنبها ان السجن قانونه الغابة !!

- هو فيه اية بالظبط ؟؟! ..

التمارض ، كثيراً من مرضى الطب النفسي متمارضون ،وأظن ان هناك خطب ما ومن خبرتي التي ليست بالقليلة أستطيع تحديد ما اما كان بالفعل تمارض او شيء أخر ! .

تغير أسلوبها مرة أخرة وكأن ما لم يكن ! ،قائلة ..

- عارف يا دكتور ماهر .. انا بقالي 3 ايام عندي شعور ان مخطوفة وبشوف وجوه الخاطفين البتبتسم عليها المجهولية ،انا كنت على طيارة بوينج خاصة التقريبا مخطوفة وانت الفرد الوحيد العارفة اتواصل معاه يا دكتور ! .

مش محتاج أعبر عن رد فعلي الكان اني اتراجع خطوة او اكتر للخلف ، اعرف تماماً أن عقلك كمثل عقلي وقتها ، الصمت كافي ان كنت مش فاهم غير ان دا ممكن يكون فصام في حالة متأخرة ! ،بس أنا مش عارف هي بتتكلم بالـ..

"نداء لإجتماع عاجل .. نداء لإجتماع عاجل .. دكتور ماهر الرجاء التو.."

اووف ، في الوقت المناسب ولله ! ، الفايروس دا أرحم بكتير من الخلل العقلي دا .

في طريقي الى غرفة العزل الكان فيها الاجتماع .. بعدما سألت موظفة الاستقبال ، والذي لفت انتباهي صوت المذيع الذي كان يذيع نبأ أختطاف طائرة بوينج كانت متجهة بوفد خاص الى استراليا وعلى متنها مراسة الشبكة مارين تيفيز !.

- مارلين !!!!

قلتها وانا بتحرك ببطئ وسرحان في كل حرف سمعته من المذيع ! ،وكالعادة القدر الذي يصاحبني بنظرة السخرية وكنت اعتقد ان الاجتماع سيكون مهدئ لي!، وها هو يسخر مني الان ..

هدوء مصاحب لكارث..

- اوووف .. يا ساتر يارب ، اللهم احفظنا !!!

قلتها وانا بحط منديلي القماش على أنفي ، رائحة لا أشتمها حتى في مسكن الاموات المتعفة ودخلت ركن المراقبة الذي عبارة عن غرفة صغيرة من الزجاج المقاوم للرصاص داخل الغرفة ؛جثة متعفة حية ،بدون ملامح تقريبا بسبب تآكل في لحم الفك وتغير لون الجلد للبني الذي يميل للاخضرار نتيجة التعفن .. ومن الافضل الاحتفاظ بباقى المشهد دون وصف لما فيه من صعوبة للمشهد الذي بالتأكيد فهمتموه .

- أيه الكائن دا .؟؟

دا كان سؤالي القلته وانا متعصب او متوتر ،مكنتش عارف بصراحة ايه دا ! وسألت تاني بأدب اكتر وهدوء شوية ..

- يا بروفيسور سيرجيف .. ممكن حضرتك تشرحلي ايه البيحصل هنا ؟،انتوا قررتوا تستأنسوا مستذئبين ؟

انا واثق انه هيقول ان مش وقت هزار ، بس انا فعلا كنت بتكلم بجدية وسخرية سوداء معتمة ! ، رد عليا قائلا في جدية ..

- الوضع ميطمنش يا ماهر .. الكائن دا المفروض الممرض بيلاجو يا سينور وعشان نحاول تهدئته قررنا منحقنهوش بحقن المهدئات العادية ، أستخدمنا مهدئات صيد من صيادين البلدية التابعين للشرطة المركزية هنا ! ، ومشكلتنا هي ان مسألة وقت وجهازة المناعي الفي احسن حالته والمنعرفش دا ازاي اصلا ! الممكن يجهز حاجز مناعي ضد المهدئ الرابع في خلال يومين بس يا ماهر ..

"ووجه رأسة للباقين فى الغرفة قائلا .."

- مفيش وقت فعلاً .. ارجوكم محتاجين حلول عَمليـ...

قاع البروفيسور صوت صراخ غير طبيعي .. بيلاجو متألم جدا لدرجة فعلاً يجب فيها ضربة بالرصاص بس محتاجيينه للفحوصات ! ولسا بيرجع تركيزنا بعد التفاتنا المفاجئ .. وكاسراً قواعد التدخل الشرطية في افلام هوليوود البوليسية ، البيكون فيها لحظة ضرب الرصاص دقيقة تقريبا ودا كان رقم كافي ان تمنع شخص من ضرب النار .. وللاسف انا ملحقتش ، ..

فتح رئيس قسم الشرطة باب الغرفة بسرعة وشد أجزاء سلاحة ، لم استطيع منع نفسي من الصراخ ..

- لاااء ,, بلاش دما...

صوت الرصاصات الأربع الذين فتتوا اصغر قطعة في رأسه الى بلورات صغيرة ، وسقط الممرض المسكين ارضاً ! ، نظرت له على الارض ، وساد الصمت لمدة تقريباً نصف دقيقة ، وثم نظرت ببطئ تجاه الظابط الذي لم يكن عندي فضول حتى اعرف أسمه ، وثم صحت فيه غير مبالي بسلطته قائلا ! ..

- أيـــــــه الغبااء دا ؟!! ، أيـــه الغبااااءّ دا !!!!! ، عمرك ما اتعلمت ضبط النفس في الكلية النت أستلمت منها بدلتك العسكرية دي !!! ، هنشرح مخ مصاب بفايروس جديد لعين وبسببك اكبر قطعة فيه فيحجم رصاصتك الغبية دي! ، ..
"ونظرت للبروفيسور قائلاً .."
- دا حتى مفكرش في دكتور الطوارئ وطاقمهُ الكانوا جمب المصاب ، والممكن في خلال دقايق يكونو زيه بالظبط !! ، بكره الأغبياء بكره الاغبياء !.
قلت جملتي الاخيرة و انا أخبط كف يد على كف اليد الاخرى ، ويد أليكسا التي ظهرت من العدم امسكت بكتفي محاولة لتهدأتي .
الظابط لم يتوقع فعلي هذا ، من هو صاحب الدم البارد الذي يذم ف عقلية ظابط شرطة ! ، ولم اهتم واكملت في هدوء ناظراً له ..
- عايز حضرتك يا سعادة رئيس القسم تقسملي بصحة المخالطين للمصاب .
- أنت تكون مين عشان تتكلم معايا بالاسلوب دا !
نظرت للبروفيسور الذي حسست ان عينه تقول ان ماهر مصطفى لم يخطئ في حرف ، وحفذني هذا للرد
- انا المسؤول عن الحالة الحضرتك فج...
وقاطعني مشهد من مشاهد افلام الخيال العلمي بسقوط الطاقم الطبي الراعي للمصاب على الارض ! ، شيطان العلم !! .
يالهول المشهد ، نعلم تماماً أن الفيروس اللعين هذا ينتقل بل ويفتك بمصابه اسرع من عملية صيد من فهد افريقي لخنزير بري في براري افريقيا ، وأنكسرت لحظة الدهشة والصلوات التي تلوها من هم هنا تقريبا التي كسرت بصوت آلالام

الخاصة بهؤلاء المساكين ضحية اغبى قرار في حياة أحدهم ها هنا ! ، والذي نقل لهم الفيروس بشكل مباشر من دم جمجمة الممرض الميت بيلاجو .

***

- تمام يا فندم ، فعلاً الأفراد معانا هنا ، .. بالظبط كما أمرت حضرتك ؛ اها .. تتكلم وقتما ترسلنا بالتنفيذ .... ، سيحدث ! .
أغلق الخط ، ووجه المتحدث وجهه الى شابةٍ مقيدة يداها للخلف وملقاة على ارض الطائرة ، وبصوت قاسي جداً ..
- أنتي الصحفيةٍ إذاً .. ، على العموم هناك خبر جيد ولكنه اسوء من جميع الاخبار السيئة ، نحن لا نستخدم اسلحة معدنية تقليدية في عملنا ، نحن أعقل بكثير يا عزيزتي الصغيرة من أستخدام هذا الهراء ، ..
"عدل جلسته على الكرسي و ضم طرفي جاكيت البذله خاصتهُ ، وأكمل"
- العقل البشري تطور على مر عصور كتير مرت ، وأصبح أكبر وأكثر ذكاء وعلم متفوقاً عن ما كنا نتوقع ، أو حتى من توقعات الأديان المتاورثة لكم تلك التي تمنع وتحدد نطاق مغلق للبحث والعلوم ؛ نعم ! كباتن الطائرة لم يموتوا بالرصاص ! او حتي بالذبح او تلك الاشياء التقليدية ، ونعم! الطائرة مخطوفة ولا مكان لها على الرادار ، بفضل جهاز التشويش خاصتنا ، ولولا رسالتك الغبية لم يكن يكشف ما يحدث هنا ، ..
"قال جملته هذه وكان ممسكاً بوجه الصحفية المُلقاه على الارض ، وأكمل قائلاً.."
- احنا عارفين ان اخر مرة ذهبتي اليها للصلاه في الكنيسة لم يكن من بعيد انتي ومجموعة الحثالة المصاحبة لكي تلك ! ، ونحن نستطيع ان نتصل بأقرب برج

مراقبة .. ونقول لهم ما يحبوا ان يسمعوه "نحن مجاهدون من العراق او فلسطين.. وخطفنا الطائرة ونختتم بـ الله أكبر وهكذا" ولكن ليس الان ! .
انتوا ليه هنا ؟؟ ، ببساطة عايزين نوقف وصولكم للقبائل الكنتم راحين ليها ، فأنتم أصلا لا تعلموا من هم واين يكِنّوا في الاساس ! فلماذا الاهتمام بهم وقتما نجري بعض تجاربنا لنحسن وجود صفوة البشر ، ملناش ذنب ان فيه ناس في تعداد البشر خُلقوا للتجارب لتحسين البشر واتخذناهم كمعمل حيوي مفتوح ، فلماذا لهم حقوق ! .

***

انه الصمت الاسود ، بالتأكيد لاول مرة أشعر بصمت سوداويٌ كهذا ! ، وبات واضحاً للكل ان هذا الفيروس اللعين .. ما هو الا بداية خلق معمل حيوي كبير جداً فئرانه القبائل ومكانه تلك الغابات ، والتي حتى لم يسمع بها او بوجود جزء كبير من قبائلها من حكومة البيرو بنفسها حتى ! .
في صمت أشبه بالجنازة التي مات صاحبها المدرج في قائمة الضحايا والتي آسامي كل من يدفنهُ فيها ! ، تحركوا لغرفة التعقيم والتي كانت شديدة الدقة ان لا يوجد مصل او مادة لا تدخل دمك او حتى تُرش على جلدك العاري وملابسك !.
وتحركنا لغرفة الاجتماعات وبدون اي مقدمات أمسك البروفيسور سيرجيف سماعة هاتفه وأبلغ السكيرترية ان تجهز فاكس لمنظمة الصحة العالمية .. ..
- يعني أيه مفيش شبكة يا مارثا ؟!!
قالها البروفيسور في غضب .. قبل ان يصمت الصوت في رأسي ، ..
مفيش شبكة !!!! ، صاعقة من السماء ، معاني كثيرة تدور الان .. يالحسن حظ هذا الضابط فكان في نيتي كلام كثير يعبر عن حماقته التي تسببت في قتل 4

افراد بدلا من فرد واحد ،نحن الان في عالم آخر فعلاً ، .. اخرج جميعنا هواتفه التي بالتأكيد تقول اننا حقاً سُجنا ألكترونيا ! نحن الان طرف أعزل بالفعل كمن في الحلم ويصرخ ويجري ببطئ بل وعندما يرد فعل يكون بطئ ولا يصل اصلا للخصم، شيطان العلم !

***

- كما آمرت يا زعيم ،تم التشويش على شبكات الاتصالات في إقليم سيفا بأكملها ولا يتبقى سوى شبكات الاقمار الاصطناعية والتي نعمل على عزلها عن الخدمة كما أمرت يا سيدي ! .

***

أشعر انك يا من تقرأ تلك المذكرات انك أضجرت ، انا أذكرك اني لست روائي مُحنك ، فبدون اي ساسبينس أجنبي في السرد ،سأخط الاتي كما حدث ! .

ثلاث ساعات تقريباً من المحاولات الفاشلة لاجراء اي اتصال ، بلا جدوى .. نحن في مشكلة فعلا ! البمعني "لسا مخرجناش من الحفرة فنقع في بئر" .
ميل البروفيسور سيرجيف رأسه متأكاً على قبضتي يديه لمقدمة رأسه .. وقال بصوت فاقد للامل ، ..
- في الحالات دي بيكون ايه الحل او بنعمل ايه ، او حتى بنفهم البيحصل ازاي يا سيادة الضابط ؟

ورد الثاني بدوره قائلاً في نبره تُمثل الهدوء وما خلفها احباط ..
- مفيش غير ان نقدر نفك التشفير ،وأكيد هنعرف ،صلواتك معانا يا بروفيسور من فضلك !
وكأننا في فيلم من القرن الماضي ،حوارهم لا يخلوا من الطرابيش الحمراء ..وأخيراً تحدث أحدهم .. انه البروفيسور دانيل بو طبيب المناطق الحارة ذو الخبرة الواسعة هنا ! ،
- يا دكاترة ،ليس بالألزام أن يكون أنقطاع الاتصال نذير شؤم ،نحن وسط أقليمين وفي مجمع الغابات الاستوائية وحولنا قبائل كثيرٌ منها غير معروف لدى الحكومات اصلاً ،فنسبة حدوث عطل أمر وارد جداً ،وصدقوني لو دي المشكلة أن فيه عصابة او مافيا هتكون أهون من أن غير معلوم لينا مدة أكتشاف العطل وتصليحها ودي فعلا مشكلة ! .

- يا ربي ،بالحالة دي فعلاً لا نستطيع تقديم سنتيمتر واحد من القطن لمصاب خارج المؤسسة لما فيه من عجز تواصل ،اي ان أستمر الفايروس هذا فسيكون أمر أشبه بهيروشيما !!! .
وجاءت كلماتي ككما نقول في مصر "سهم الله" لا أحد يملك سوى الصمت والتظاهر بالتفكير ،لأن ببساطة لا يوجد حل ! .. ..
- الاسلكي الخاص بالشرطة !!
خرج مني تلك الجملة بعدما سمعت صوت الاسلكي الخاص بالمجند الذي يقف بجاني ، وأكملت ..
- احنا نقدر نستخدمه ..؟
وبرغم أنه سؤال أستنكاري ،لا يُنتظر فيه أخذ رأي او موافقة ،الا ان البروفيسور

سيرجف بقى يحاور الضابط لمدة ساعة ونصف تقريباً لإقناعة ولاخذ موافقته وجائنا الامر بالموافقة .. أن سيُغيَر التشفير الى تشفير آخر لنا ،وسيكون مع كل تخصص لاسيلكي ، إلى ان يرضى علينا الحظ قليلاً !.
وأنتهى هذا اليوم المؤلم لعضلاتي وأعصابي ! .

- وتقريباً يا ماهر نسيت معاد سهرة افلامنا .
قالتها أليكسا وهي تقف على باب غرفتي ،وكانت ممسكة بكمية محمصات وفُشار إن كنت شاب اقتصادي لأعلنت أفتتاحي لمقلى وتسالي في حينها ! ..
- حد قالك ان أوضتي فاتحة مؤسسة تبرعات لمجاعات الصومال ؟! ،اي معدة تستوعب كم الـ..
ضحكتها اللطيفة والتي دفعتني للداخل في مرح ، قائلة..
- دراعي أتخدر حرام عليك ،مش وقت محاضرة ،ساعدنني !
قالتها في صريخه مرحة ، .. وساعدتها قائلا ..
- هههه مقدرش أنسى سهرتنا البستناها ،بس كلك نظر .. فيه 4 جثث اتـ..
وفجأه لقيت وسادة صغيرة من الكَنبة ملقاه على وجهي وتمسك بها حسنائي الجميلة ،قائلة لي
- مااااهر ،مفيش كلام في الشغل !!!!! ،لو فيه مذبحة على باب الغرفة دي هنرفع مستوى صوت الفيلم ولن نكترث النظر حتى تفنى الاكوان .
حتى تفنى الاكوان ،حتى يجئ هذا اليوم اظن انني سأتعلق بوجودك حينها !..
- حاااضر يا دكتورة ،هنكمل مسلسلنا البوليسي ،والمهندس سكوفيلد .
بريزون بريك ،كان مميز لسهرتنا .. والبدوره كان بيسيطر على تركيز اليكسا، والطبعاً كان فرصه مميزة يخليني اركز في ملامح أليكسا ،ما أستطيع وصفه هو اني

سأسقط في الفخ أياه مع الوقت ! .
عنيا غِفلت بشكل لا ارادي وتقريبا قبل ما الحلقة توصل لنصفها حتى ،وفي الصباح افيق على أسلوب افاقة اسوء من المعتقل الحربي ،خبط قوي جداً على الباب، كانت أليكسا نائمة على الكنبة وانا على الارض .. وعندما شعرت ان لم افيق حالاً سيتم تهشيم جمجمتي وليس خشب الباب فقط ،فقمت وفتحت الباب المسكين ..

- اسف يا دكتور ماهر بس فيه حالة من قسم الاستقبال في المصحة النفسية ، عندها حالة توتر عصبي زايدة شوية
- غرفة رقم ؟؟
- رقم 91 يا دكتور .
- انا جي حالاً .

قلتها وانا بتثائب ودخلت اجهز ،وتحركت تجاه القسم النفسي.

- دكتور ماهر ! ..

واذ لم اغلق حتى الباب كاملاً الا واناملها تمسك بالباطو خاصتي ،وحاولت جاهداً استخلاص انامل يداها تلك الممسكة بي ..
- ممكن تهدي ، اهدي .. كل شيء آمن هنا .. أوعدك بكلامي دا !
وبصوت متوتر ردت ..
- دول .. دول هددوني يا دكتور ،هددوني .. و .. و أه هم بيستخدموا القبائل في الغابة كحيوانات معمل ،وقالوا ان .. ان
- ششششششششش !!! ، ممكن تهدي من فضلك ؟! .

بصراحة كنت عايز أكون تقليدي في الوقت دا وأستخدم اي نوع من المهدئات بس بكل صراحة الفضول كان المنافس الشرس الكسب انه يقنعني ان احاول اهدئ من أعصابها لأستمع لما تقول هذه المنجمة ، أصل من غير طبيعي بالمرة أن تنقسم الروح نصفين ، نصف في مصحة موزجا النفسية ونصف مع صحفية في طائرة مخطوفة في استراليا ! .

هو كان أسم الصحفية ايه ؟؟ ، في اللحظة كان لازم أتصرف واحاول اخليها تقوله..

- هم مين الخطفوكي او فكرك أنتي مين يعني عشان تقرر عصابة مافيا مثلاً تقيد صوتك !

- انا من أشهر مراسلين الشبكة سي ان ان ، بل وأكثرهم تأثيراً ، تقارير الصحفية مارلين تيفيز مسموعة في بريطانيا بأكملها و..

كان هذا سهلاً والان يجب مقاطعتها !

- وياترى تعرفي توصفيلي او تلخصيلي انتي ايه الموترك او خايفة منه ؟؟!

ألقيت سؤالي هذا وعدلت جلستي على الكُرسـ.. ، الدفتر الاسود ! هو أيه الدفتر دا ؟.

- وصلت لمقر الوكالة الاخبارية ، واتردد اخبار ان فيه تسجيل لحالات لفيروس غير معلوم وغير مُعلن عنه من الاساس ، والحالات بتتسجل في مؤسسة موزجا ، ولم تصلنا تفاصيل اكثر ، ولا حتى اى فرع من المؤسسة والمشهور عن موزجا انها أسوء من المخابرات السوفيتيه في الكتمان والسرية التامة ، وبالفعل .. كنت في طائرة خاصة لاستراليا لمرافقة البعثة الدبلوماسية والتي تحمل أسماء أعضاء من منظمة الصحة العالمية ، أختارتني الوكالة لواسع خبرتي وكمان لسني الصغير 28 سنة رقم مميز ! ، وبصراحة كانت فرصة مش بتتكرر كتير ان يكون معايا وفد مميز كما

المتواجدين على الطائرة برفقتي ، احنا في طريقنا للبيرو ، عرفت المعلومة دي واحنا في محطة الاستراحة الخاصة بالطائرات في دولة المغرب .. وبعد الاقلاع بثوان نبهني زميلي أن ثمة حركة غير تقليدية هنا ، ظهرت افراد غريبة على متن الطائرة ، وهذا كان كافي أن أرسل رسالة للوكالة ، ان فيه أفراد بتتلكم باللغة الفرنسية وبستفسر اما هناك حرس خاص مقرر له الصعود من أستراحة الطائرة في مطار طانطان في المغرب ، وأرفقت بعض الصور والفيديوهات القصيرة لحراكتهم ، ولم أمكث للحظات واذ زادت الحركة !

هي جابت الكلام دا ازاي ومنين ؟؟! ، الدفتر الاسود لازم يكون مذكراتها او حاجة.. قدرت بشكلٍ أو بأخر ان أقنعها بأن فنجان الشاي مناسب تماماً لأفاقتنا في الحوار ، وبدوري أنذرت التمريض الذي كان جالباً معه الحظ ان نجح في تشتيت أليثيا "مارلين" والذي بدوري أيضا سحبت الدفتر بجانب ملفها الذي بحوزتي وسكنت هادئاً ، ونظرت لي وأكملت قائلة ..
- وبدون اي مقدمات الظلام الدامس ، كان الامر بسيطاً جداً لدرجة ان لا نعلم كيف حدث هذا ، فجأه مُكبلون وجميعنا لا نشعر بأي من أطرافنا تبادلنا التساؤل في ثُقل تام قبل ان نغفوا مرة أخرى ! ، وكأن هناك شيء ما يجعلنا ننام بلا سبب ، وها انا بعدما أفاقت لا أرى ولا أشعر بأي عُصابةٍ مربوطة على عيناي ، ولا حتي أستطيع الشعور بأناملي او اي شيء في جسدي ، مُخدرةٌ تماماً كما تحمل الكلمة من معنى ، وفقط استطيع السمع والغريب اني كنت بكامل نشاطي العقلي ، واول تساؤلاتي التي لم تخرج حتى من خلاياي العصبية الى أحبالي الصوتية وكانت أشبه بشعور الكوابيس ، السؤال كان "اين انا ؟ لازلنا في الجو ؟" وقبل ان تكتمل باقي الكلمات المعروفة لدى الجميع من افلام فاقدي الذاكرة ، صوت لا

اعرف وصفاً فهو رقيق ومثير وفي الباطن يجعلك تشعر وكأنك على اعتاب 10ثوانٍ وتكون في تعداد الموتى ، حقاً لا أجد وصف ؛ والذي بدى وكأنه يُحاور احد عبر الهاتف ويريد ان يجعلني أسمع فأتى بجواري ..

- حدث بالفعل يا سيدى وها هم معنا ، وكما سعادتك طلبت ان الصحـ..

يالهول السماء ، ماذا يحدث بحق يسوع !! ، انه يريد أن يستغل صوتي المسموع في الوكالة والتي اراهن أنهم قد بلغـ...

- بقى انتي الصحفية ؟!!

قالها هذا الصوت المميز في اذني قاطعاً حبل افكاري .. وأكمل ...

- هيهات يا مادمازل ، ههههه متقلقيش احنا .. أعقل بكتير اننا نفجر رأس أحدهم او اننا نقتل حد بالعنف .. تؤ .. تؤ .. تؤ ! ، ستسمعى هذا الكلام بالنص مرة أخرى بعد قليل لادعك تقتسطي قليلاً من الراحة ! .

وصدقني يا ماهر ، الصوت هذا كنت أتمنى من كل قلبي ان يُقبلني بشدة ولكن يا عزيزي لم تسري الامور كما العنوان ، ولم يكذب ، وكأن لم يدخل أحد تكرر المشهد حتى مكالمة الشخص الثاني ليأكد أننا هنا ، لدرجة أني شعرت أنني أحلم بالفعل ! ...

+++ *ورد بالفعل* +++

- تمام يا فندم ، فعلاً الأفراد معانا هنا ، .. بالظبط كما أمرت حضرتك ؛ اها .. تتكلم وقتما ترسلنا بالتنفيذ .... ، سيحدث ! .

أغلق الخط ، ووجه المتحدث وجهه الى شابةٍ مقيدة يداها للخلف وملقاة على ارض الطائرة ، وبصوت قاسي جداً ..

- أنتي الصحفيةٍ إذاً .. ، على العموم هناك خبر جيد ولكنه اسوء من جميع الاخبار السيئة ، نحن لا نستخدم اسلحة معدنية تقليدية في عملنا ، نحن أعقل بكثير يا

عزيزتي الصغيرة من أستخدام هذا الهراء ، ..
"عدل جلسته على الكرسي و ضم طرفي جاكيت البذله خاصتهُ ، وأكمل"
- العقل البشري تطور على مر عصور كتير مرت ، وأصبح أكبر وأكثر ذكاء وعلم متفوقاً عن ما كنا نتوقع ، أو حتى من توقعات الأديان المتاورثة لكم تلك التي تمنع وتحدد نطاق مغلق للبحث والعلوم ؛ نعم ! كباتن الطائرة لم يموتوا بالرصاص ! او حتي بالذبح او تلك الاشياء التقليدية ، ونعم! الطائرة مخطوفة ولا مكان لها على الرادار ، بفضل جهاز التشويش خاصتنا ، ولولا رسالتك الغبية لم يكن يكشف ما يحدث هنا ، ..
"قال جملته هذه وكان ممسكاً بوجه الصحفية المُلقاه على الارض ، وأكمل قائلاً.."
- احنا عارفين ان اخر مرة ذهبتي اليها للصلاه في الكنيسة لم يكن من بعيد انتي ومجموعة الحثالة المصاحبة لكي تلك ! ، ونحن نستطيع ان نتصل بأقرب برج مراقبة .. ونقول لهم ما يحبوا ان يسمعوه "نحن مجاهدون من العراق او فلسطين.. وخطفنا الطائرة ونختتم بـ الله أكبر وهكذا" ولكن ليس الان ! .
انتوا ليه هنا ؟؟ ، ببساطة عايزين نوقف وصولكم للقبائل الكنتم راحين ليها ، فأنتم أصلا لا تعلموا من هم واين يكنِّوا في الاساس ! فلماذا الاهتمام بهم وقتما نجري بعض تجاربنا لنحسن وجود صفوة البشر ، ملناش ذنب ان فيه ناس في تعداد البشر خُلقوا للتجارب لتحسين البشر واتخذناهم كمعمل حيوي مفتوح ، فلماذا لهم حقوق ! .

+++ +++

- وحقاً يا عزيزي ماهر عُنفت تماماً ! ، والى ان مكثت قليلاً وبدأ مفعول المخدر السحري من ان يجعلني أشعر بملامح وجهي تتحرك ولازت ارى الظلام .. وكيف عرفت أن ملامحي تعمل ههههه ، يد خفيفه لسعت وجهي ووجهته الى مكان لا ارى

فيه شيء لان ببساطة لا ارى اصلا ، وعاد الصوت الهادئ الذي عرفت ان يد كهذه لا تستـ..

- يا سينوريتا !! ، هو حضرتك شايفة ان دا وقت سادية ؟ ، من فضلك كملي حوارك بإحترام اكتر !.
قلت كلماتي وانا مُضجر ، فلا يوجد وقت لقصه ساخنة مبنية على تهيؤات شابة في العشرينات تعيش مراهقة متأخرة ! .. ودعتها تكمل قائلة ...

- كان يقول لي كل هدوء
- مظنش حبيتي اسلوب زميلي ، طيب ببساطة تكملة للكلام ، مش هنقول احنا طالبين ايه ، ليها وقتها .. بس عايز انبهك ان المكان الكنتي رايحة فيه اصبح عبارة عن سجن ، ببساطة لا يوجد برج شبكة او اي وسيلة اتصال عن بعد الا وتم تشويشها بنظام عقيد التشفير ، مدينة سيفا أصبحت كجزيرة في وسط المحيط وكمـ...

- نعم ؟؟ جزيرة فين ؟!
قاطعتها بالتأكيد ، فليس بالطبيعي ان تعرف تفاصيل جلسنا نبحث عن أساسها لساعات ؟!! ، ثمة خطب ما هنا ! ، وأكملت قائلاً في تعجب !
- و.. جبتي الكلام دا منين يا أليثيا ؟!
- أليثيا مين ؟
- يا ربي !! ، أسف أقصد ماريـ.. ، أيييه هو دا وقته ، هتفرق يعني ! ، جبتي القصة دي أزاي ؟

نظرت لي في خجل ، لم يكن علي ان أصيح هكذا ! ، ..
- أنا اسف يا مارلين ، لكن ثمة خطب ما في قصتك هذه ، انا فقط .. ههمم ، انا اسف ، ما كان علي ان أصيح في وجهك هكذا ! .

"نداء الى الطبيب ماهر مصطفي عليه التوجه....."

رصاصة الرحمة .

في طريقي الى غرفة الادارة التي اظنها ستكون جناح فندقي رائع ! ، فكرت في الدفتر الاسود الذي أمسكه بأناملي المرتعشةُ تلك ! .. ايه السر وراء تلك الشابة الانكليزية ، والاهم لو حوارها صح ، ففعلاً احنا على سطح الجزيرة ! .

***

- أسف يا برو...
ولم أكمل الكلمة واذ ارى 7 افراد لا تراهم كل يوم او كل شهر او حتى مرة في العمر ، انهم أساتذة الجامعات المختصين بكم مبالغة في الحنكة ، وتشعر ان يوجد شكل موحد لهيئتهم ، البذلة الرمادية اياها والنظارات والشعر المصبوغ او الشائب او حتى الصلع منهم ، اتريد وصف موجز .. أنظر لدكتور الجامعة الذي يُدرس لك في الجامعة او من كان يدرس لك اياً كان عمرك ودعني من هذا الهراء .
- ... فيسووور ، هو ... حصل حاجة كمان يا بروفيسور سيرجف ؟!
كانت جملتي تكتمل بنظرات تلتف المكان .. متسائلاً "خير ؟!" .

- لا يا ماهر ، دا بس من حسن حظنا ان فيه بعثة من هيئة كبار الباحثين والعلماء في المنظمة وصلت لما بعتنا ليهم عينة من الفايروس اياه .
- أه كبار الباحثين والعلماء .. أه ،طب .. ممكن أعرف أيه المطلوب مني يا بروف ؟! .
قلت كلمتي وجلست على الكرسي المعهود بجانب المكتب !
ظهر على وجهي الرغبة في الخروج من هنا فأنا في طريق حضور اجتماع سيكون الأَمَلُ على الاطلاق ،لطلما كرهت سماجة وتطاول النوع هذا من اساتذة الجامعة اصحاب الانوف العالية والاراء الممنوعة لمن اقل من دراجتهم التعليمية او حتى الفئة العمرية على اقل تقدير ! ،وطبعاً الا من رحم ربي منهم ! .
وهل حقاً تنتظروا رد البروفيسور سيرجف ؟ ،بالتأكيد ظللت اشرح وأفسر وبتفاصيل التفاصيل وارد على كل نقطة فلسفية وانا اطقطق كل مفصل في اناملي محاولةً مني لإخراج كل توتر او عصابية بداخلي ،فـ5 ساعات وقت طويل فعلاً .. .. اقسم لكم ان شتان بين صمت يقلقك وصمت فلسفي فارغ الباطن يستنكر كلماتك بمنطق "من ذي الثلاثين هذا امام خبرتنا" .... وأخيراً .
نهاية يوم اخر ولكن اظن ان تكرار مثل هذه المحاضرة امام هؤلاء المعقدين نفسياً .. وقصة هروب منهم تتلخص بإستكمال البروفيسور سيرجيف للاجتماع ،يومي لا يطيق استكماله بهم .
وبدأت بتمديد جسدي متأوه كـكهل كاسر الـ90 من عمره ؛ وكنت بدأت افكر فيما سيكون التالي في افك..
- هو كل يومين سهرة أفلام ولا ايه بقى ؟؟!

قلت جملتي متكئاً على الكومود لاقوم وافتح الباب الذي يقرع ، ..
- دول 6 فلاشات ، عليهم الداتا الحضرتك طلبتها يا دكتور .
- طيب شكراً جداً.. وأه ، بعد إذنك بس ممكن تطلب من الدكتورة أليكسا- كير انها تيجي باللابتوب بتاعها في بعد ساعة لإهمية الامر ؟ .
اجابني بهزة رأس .. وذهب .

- وآ..دي الك..ابل أههُ ، الله يلعن الهندسة التي جعلت من فرد غبي يصمم جهاز بتصميم متخل..
- انت برده لسا بتشتم الاجهزة كما عادتك يا ماهر !! ههههه عمرك ما هتعقل .
قالتها اليكسا وهي بتجهز الداتا شو على اللاب توب ، ثم اكملت ردي وانا أُكمل محاولتي لتركيب الكابل..
- يا اليكسا انتي لازم تشكري ربنا اننا مش مهندسين زي الاغبياء دول ههههه ، مهي الحياه مش ناقصة فرد يصمم مدخل داتا بزاوية غريبة تكسر رقبتك وانتي بتركبيها في الشاشة .. أوووف واخيرا ، حتى كابل الشاشة يا ربي! .
قلت أخر كلماتي وقمت انفض يدي من اللا شيء تلك العادة الكوميدية التي .. اهه لا عليك .. رأيت أليكسا تقف تتأملني مكتفةً يداها مبتسمة ..
- بتضحكي ع ايه ؟! ههههه !!
قلت كلماتي وانا اضحك لها بعاطفة مميزة .
- بضحك على شكلك وأسلوبك الغريب البحب اتفرج عليه .
- طيب يلا بينا نشوف شغلنا بدل فقرة السيرك دي ههههه ! .

وبدأت اليكسا بعرض اول شريحة مايكرو للفيروس اللعين اياه ، غالباً نسيت اقولكم اني طلبت داتا تفصيلية بيتجمع فيها كل شيء عن الفايروس وحالته من صور فيديوهات وتحاليل وإلخ... ،واستخدمت لاب توب اليكسا للعرض، وجهازي للبحث والتحليل .

دا طبعا بعد ما طلبت من البروفيسور سيرجيف التعسكر في غرفتي مستغلاً فتره الاستقرار السوداء التي سيمر فيها مبنى المؤسسة .

وكل دا بسبب وصول عدد الحالات لأكثر من 720 حالة في زمن قياسي جدا والرقم للحالات التي استطاعت موزجا استيعابها .

وبدأت انا واليكسا ندون ملاحظاتنا الـ منها احجام الفايروس وتاريخ سلالته ومُدد وفترات الـ..

- دي فيها نوبل يا ماهر ؟

قالت اليكسا جملتها محاولة كسر تركيزى المتواصل في العينات والخلف صمت وصل لـ3 ساعات تقريباً ..

- ه ها ؟ ، لالا بس فعلاً برغم اني مرهق بس انا اتحمست فعلاً يا اليكسا .

- طب ايه رأيك تنام ، انت محتاج دا فعلاً باين عليك !

وافقت ، لان لو رفضت لكان جسدي انهار فعلاً .. من الاشياء التي دوما اتحمس لها ، هي البحث العلمي !.

بدأت أضبط الساعة المميزة تلك التي اهداني اياها أصغر اخوالي ، الخال المقرب الى قلبي واحادثة اسبوعياً بجانب اهلي ، أتذكر مشهد كنت فيه صغير في الاعدادية وأحببت تلك الساعة الرقمية المستطيلة التي كانت في افلام الكارتون ههه ، وكان خالي متواجد بجواري ، ومن ثم سمعني وانا اقول "نفسي في ساعة زي دي" .. وبعد 3 اشهر ظهرت نتيجة الأعدادية واذ

به يهنيني ويعطيني صندوق ،به تلك الساعة ! .
هههه لا اعرف ما الذي ذكرني بهذا المشهد ،قد يكون الحنين للبيت !، او توحشني خالي ،لا أعرف ..
المهم وانا أضبط تلك الساعة المقربة الى قلبي ، لمحت الدفتر الأسود اياه الذي كان مع المريضةِ تلك "اليثيا هوفر" .
- ويا ترى حكايتك ايه انت .. انا ناقصك مثلا .. أيه دا ؟! دا مفهوش غير 3-4 صفحات بس ! .
قلت كلماتي وانا أعتدل في جلستي وأشرُف رشفة من مشروب الشاي بالنعناع المفضل عندي !. وبدأت أقرأ أولى السطور المكتوبة بالخط الانجليزي المميز ..

***

-الصفحة الاولى-

- أظن ان يوماً ما سيأتي أحد ويقرأ تلك السطور ،ولهذا أتمنى ان تكون على قدر الثقة لهذا وأتمنى ايضاً ان تصدق هذا الكلام ... (أليثيا مارتين هوفر)

-الصفحة الثانية-

- انا بعاني من مشكلة غريبة ،الورق دا مش عبارة عن مذكرات ، انا بسجل مواقف غريبة للمشكلة الغريبة دي ،ببساطة في البداية انا كنت بشوف البيعيشه ناس تانية لما بنام ،وبدأ الحوار دا لما كنت في رحلة تابعة للجامعة الكنت بدرس فيها ،وكالعادة نمت من الهدوء في فترة الرحلة ،وإذ بي ان شفت في الحلم ان بمجرد خروجي من الباص هينفجر ،قد يظهر

الموقف كوميدياً او أشبه بقصص حوادث سلسلة فاينال ديستنيشن الشهيرة، ولكن الغريب لما وصلنا لإستراحة الباص كنت اريد ان اشتري مياه غازية من المتجر الصغير الكائن في محطة البنزين التي سكن فيها الباص واذ بإطار خلفي ينفجر من ضغط الهواء ولم يمكث لثوانٍ وكان الباص يتحول الى حطام متطاير اما عيني مع لهيب ودوى انفجار هز المكان مع صرخات من زملاء الرحلة !! وبرغم محاولة البائع في جعلى انبطح الا ان صدمتي لمشهد شاهدته مسبقاً جعلني اشعر بالذنب "أكان بإمكاني تحذيرهم ؟" .

وبالطبع انا اجزم لك يا من قرات هذا وستقرأ الآتي كتابته ،أنك لن تصدق حرف ،انا واثقة في هذا !.

-الصفحة الثالثة-

- وثم بدأ الحوار يتطور معي الى اسوء وأسوء ،كنت آتيه من محل البقالة كعادتي الاسبوعية وانا اقود سيارتي آذ بي اشعر وكأن عيناي تغير مشهد رؤيتها الى سجن او شيء شبيه له وكأني في جسد امرأه مكبلة او مُمسك بيداها بشكل مرعب واذ بسكين قذرة تقطع رأسي او بمعنى ادق رأس جسد المرأةِ تلك ،ولا أستطيع تعبير ما رأيته عندما عدت للواقع وانا ملقاه على سرير في مستشفى وعرفت بعد ذلك اني ارتطمت بحائط محلٍ ما ،ولحسن حظي ان شهادة مرضي النفسي بررت هذا وصرفت تعويضاً مناسباً لهذا المسكين .!

وبعدها قررت اسافر رحلة غريبة استغل فيها موهبتي للرسم والتصوير ،واخد مضادات الاكتأب واروح لدولة البيرو ،واخدت معايا دفتري الاسود هذا ،الذي قد يسمعني ،دون افراد دائرة معارفي التي تعتبرني مختالة .

-الصفحة الرابعة-

- انا عارفة ان كلامي دا غريب محبتش اكتب اكتر من كدا ، لان هتشوفوا الكلام جرعة دسمة من الهرطقة او الخرافات كما يسميها من يسمعها ..ومفيش في عقلي سوى متى سيفيض الكيل وانهي تلك الحياه .

***

بصراحة ، فاقد القدرة على ابداء رأيي ، رأي ؟ .. هو فيه عقل علمي او عملي حتى يصدق الكلام دا ! ، ازاي اصلا ممكن تسكن جسد آخر بل وتعيش أخر لحظة الـعلى حسب كلامها بيتطور الى ان بيزد وقت تجربتها وفي النهاية لازم يموو ...!! WTF دا معناه ان الصحفية الليها علاقة بقصة الفيروس هتتقتل!
بس دا لو فعلاً البتقوله حقيقي ..
انا طبيب فكيف لي ان اصدق بهذا الهزل ، وكمؤمن بديني فأنا مؤمن بوجود مثل هذه الإشكاليات ، لكن القول شيء ، و رؤيته شيء اخر !.
سأضعها تحت المراقبة اللحظية .. قلت أخر كلماتي وانا أتثئب وتركت جسدي ينهار وينام .

وبعد 4 ايام ، بدأت تحدد ملامح ونتائج أقتنصناها وعرفناها انا وأليكسا ، والتي قالت ..
- ماهر احب اهنيك ان فعلا انا هجهز مقابلة في قاعة الاجتماعات ، مظنش فيه أكتر ، قدرنا نتوصل للحمض النووي الاولي وتركيبة ومركب من ايه ،

وفسرنا خطوات ما بعد الاصابة وتقريبا توصلنا للحالة رقم صفر ، حقيقي احنا عملنا كتير اوي ، كتير يا ماهر !.
قالت كلماتها تلك وكانت تنظر الي ، نظرة أقسم ان لا مثيل لها قط ، أليكسا .. انتي ملاكي الحارس !.

- أنا فخور بمجهودنا يا أيلي[1] أنا جاهز لعرض النتائج بتاعتنا !.

***

والأن .. انا امام قاعة صغيرة نسبياً ، مليئة بأفراد من الطواقم الطبية منها تخصصه له علاقة بالفيروس ، ومنه يريد ان يعرف ما سبب كل هذه الحوادث الغريبة والغير تقليدية بسبب فيروس غريب الهوية ، وها هي أليكسا .. تحاول تجهيز الوسائط التي سنستخدما معاً في تفسير لما كل هذا !

ثم بعد مقدمة أليكسا التي حمستهم ببعض العبارات مثل "انتبهوا ، خطير ، مهم" وهكذا .. ، وجاء الدور علي انا ..

- شكراً لحضوركم ، بدون اي تعريفات عن نفسي او من قبيل الكلام دا ، بعد أسابيع من تسجيل أول حالة للفيروس دا البتتسمى الحالة صفر ، والكنت انا بنفسي تابعت تفصيلها بكافة حذفيرها ، والبعدها تم تكليفي بمتابعة الفيروس والبحث فيه بطبيعة مهارتي في البحث ، والـوأخيرا .. جي واعلن عن تفاصيل

[1] : أسم ينادي به ماهر الى اليكسا

مُلخصة بدسامة الإفادة بكامل الإشادة بالطبيبة أليكسا-كير بمساعدتي كتير جداً في كافة الإستنتاجات دي .

وانا أقلب ورقة الخطاب المضحك هذا ، اريد ان أقتل نفسي مبتلعاً هذا النص الغبي الذي كتبته مع أليكسا ! .. وأكملت قائلاً ..

- بعد أكتشافنا لاول مصاب وبدأ الامر يزداد سوء ، كلفنا البروفيسور سيرجيف برحلة أستكشافية كانت بقيادة البروفيسور دانيل-بو ، والتعرضنا فيها لمحاولة اغتيال كيميائي لولا خبرة البروفيسير دانيل ، ولكن بقى ناجي وحيد .. فقبل تعرضنا للمحاولة أستطعت ان احتفظ ببعض العينات الموجودة في انابيب اختبار ملقاه على الارض والتسببت لوفاة لحظية للسائق الذي كان يقود السيارة بنا ، والتي ايضاً اصابت مع الاسف الممرض بيلاجو .. وبعد كدا حدثنا البروفيسور تينجيت عن مراحل تكوين الفيروس ، وهنا أصريت ان لازم البدايو تكون في الحمض النووي التاريخ الجيني للفيروس ، والبدأت اطلب من مدير المشرحة د.محمدوف وتسجيل ملاحظات إليكسا وارشادات وملاحظات البروفيسور دانيل ، والأن .. أستأذن من البروفيسور تينجت عن أقتباس أجزاء من شرحة ووضع لمساتنا الاخيرة انا والدكتورة أليكسا عليها خلال نتائج تلك الفحوصات ...

هناك أكثر من صورة للفيروس والذي بدوره ينقسم الى أكثر من مرحلة عند دخوله الى عمق جلد المصاب ، ..

وهنا أشرت لإليكسا بالاكمال لشرح الصور اكثر .. فأكملت حواري قائلة ...

- نرى في الشريحة تلك تحرك للمجوعة تلك من الفيروس وهي تدمر الخلايا الجذعية كمرحلة ثانية ، بعد اختراقة للجلد عن طريق المسامات كما واضح في الشريحة تلك ، وتلك الشريحة نرى أستيطان الخلية النشطة على اماكن متفرقة في عظام الرأس ومنها الوجه والفم والحبل الشوكي والتي في مراحلها المتقدمة تؤثر

على شكل الفم وكأنه متآكل .. وفي المرحلة النهائية كما نرى هنا تشريح بعض الستنيمترات من مخ المتوفي ان مخة بات اسفنجياً كما في افلام الخيال العلمي..."الزومبي ـز" .

ثم أكملت انا الكلام ..

- في الحقيقة الواقعية ،ان فيروسنا اللعين هذا قد يكون هجين لما أثبته في تطور حمضه النووي في مثلث فيروسي على ثلاثة مراحل أو للدِقة .. ثلاثة أجيال لكل جيل خاصية خاصة مكتسبة من فيروس معين اخر وليس جميع خواصهم ؛ .. يبدأ الجيل الاول بمرحلة الاعراض الاولى ،والتي تخرج خواص فيروس لاسا وحتى يوجد التشابه في الشريط الجيني بينهم ،والذي يعد سريع الانتشار والإنشطار وبدوره يساعد في أنتشار الجيل الجديد والكارثي والذي تتشابه شفرة جيناته التي وردت من المعامل في رحلة بحثنا عنه ،تشبة داء الكَلَب والذي يعد من أسوء واشرس الامراض التي تصيب الجهاز العصبي في الانسان ،وإن لم يكتفي المصاب بالوفاة عند هذا الجيل ،فلا يزال شفرة الجين لاسا تعمل .. وهنا كان التطور الاخير في آخر الحالات والتي أسميتها انا والدكتورة أليكسا المرحلة أكس ،لا ترمز للرقم 10 ! ،بل للمرحلة الأخطر فعلاً .. وهنا نستكشف الجين الاخطر والذي جعلنا نتسائل ،كيف لفيروس ان يتطور في مدة زمنية خارقة ولم يحدث تشوه واحد في اي جين ! ،الجين الثالث والذي هو في الجيل الثالث يكون خاص بمرض غير بشري تماماً .. وهو الهزال المذمن ،والذي يصيب الغزلان وليس اي غزال بل أنواع تكن في شمال اميركا وكندا تقريباً ، .. ولحسن الحظ عرضنا فكرتنا عن جينات الفيروس على اطباء المعامل هنا في موزجا لإستحداث تطوير لأمصال وبالفعل أقروا برنامج وقائي سنتخذه جميعاً مؤقتاً حتى تعود لنا الإمدادات .. أختصرت كلاماً كثير وستجدوه حضراتكم في مجلد تم توزيعه على الخبراء ها هنا .

وبالفعل .. محاضرة كانت غير طويلة بالمرة أختصرت أكثر في كلماتي والذي اراهن ان إن أكملتموها لشعرتم بالملل .
وفي أخر النهار وكما تجري العادة أستدعاني البروفيسور سيرجيف لمكتبه وبدأ كلماته قائلاً ، ..

- سينور ماهر ، بعيداً عن المغالطات التي حدثت من جزء من تفسيرات تعد من غير أختصاصك ، إلا انك أثبت نفسك سريعاً هنا ، وآمل أن لا تشعر بالملل سريعاً .. لما حققته هنا وستصوم عليه فتره لتكررها مرة أخرى ، او ان تحدث مصادفات ، على كلٍ لقد تم نقلك الى قسم الرعاية النفسية كإجراء أعتباري لإستثمارك في الصحة النفسية بعيداً عن الجراحات ، فلست مستعداً لإهمال هذا القسم في المؤسسة التي أسست لإجله في البداية .. وما اراه غريباً ، أنك لم تقاطع كلامي كما العادة !.
- صدقني يا بروفيسور ، انا حاليا لست على اي أستعداد لمناقشة ، إن كنت تريد ان تسمع رأيي ، فأنا لم أحبب القرار لما أفضله في البقاء مع الجراحات لاني جراح نفسي وعصبي .
قلت كلماتي وانا كنت مرهق بالفعل بشكل لم أكن عليه منذ أخر يوم لإمتحاناتٍ شاقة في سنوات الطب في الجامعة ..، ورد البروفيسور قائلاً ، ..
- أراك مرهق ، سأقوم بتأجيل المناقشة لوقت لاحق ، لكن أعلم أنك لم تمكث هناك دائماً بل أسابيع فقط وتعود الى الجراحه وتعود للقسم النفسي وهكذا نمطياً.

حييته غير مبالي ولم أجد سوى صديقتي أليكسا تساعدني على الذهاب لغرفتي قائلة لي ..

- ماهر أظن انك بعد راحتك تلك عليك أن تكون فخورا بما فعلته ، يوجد هنا ما لم يستطيع أثبات نفسه بتلك السرعة مثلك ، انت مثال للجُدد هنا !

رددت عليها وانا أفتح باب غرفتي ، ..

- بعيداً اني لم أفعل هذا وحدي وبإستثناء كل من ساعد في الوصل للنتائج تلك ، فأنتي من نجوم مسرح البحث هنا يا أيلي ..

وأكملت بنبرتي الاستنكارية ..

- الذي لم يثبت نفسه ، هو فقط لم تسنح له الفرصه ، وإن سنحت .. أراهنك أن سيكون عدم الاثبات هو النادر وليس العكس ! ... تصبحين على خير يا عزيزتي ! .

غدوت الى سريري وانا أتذكر وجهها بعد كلماتي والذي أشار ان ثمة أحمق يريد انكار مجهود أسابيع .. وتناولت الدفتر الأسود من على الكومود جانب السرير وقلت له .. "عزيزي .. قد فرغت لك الان ! انت ومن كتب الكلمات فيك" .. ثم رحت في نوم لن انامه قط في حياتي .. وانا أعرف أن الغد المكني للمستقبل القريب سيشرح لي الكثير عن مرضى القسم النفسي .

تمت

..دكتور ماهر مصطفى

. مدينة سيفا – البيرو

العدد التالي ...

(مريض الغرفة 49)

تابعوا المؤلف علـ..

Mohammed A. Bakhit - Twitter

Mohammed A. Bakhit - Instagram

تابعوا فانتازيا علـ..

facebook

instagram

twitter

وإن اردت الدعم مشكوراً ❤

- PAYPAL-